تقديم

أناهيد بنت عبي

غفر الله لها ولوا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله -عزَّ وجلَّ- حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يشرح صدورنا؛ فيستقر الإيمان في قلوبنا ويكون القرآن الكريم ربيعًا لها ونورًا لأبصارنا وبصائرنا اللهم آمين.

وهذا السؤال لربنا: "أن يشرح صدورنا لكتابه؛ فيستقر الإيمان في قلوبنا!"، يلزم معه الاجتهاد في جعل هذا المصدر العظيم، الكتاب الكريم -الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- هو والسنة الكريمة، المصدران الوحيدان لإصلاح فكر الإنسان، ولتربية أبنائه، ولإرشاده في الحياة، فإذا صدق الإنسان في توحيد مصدر البيان والنور والهدى والشفاء، إذا صدق في جعله واحدًا فقط: ما هو من عند الله؛ صَدَقه الله؛ فأنار له من هذا الكتاب ما يصل به إلى الحق، فتراه يقرأ كتاب الله فيفهم من هذا الكتاب ما يرشده إلى كل خير في كل خير، في كل مسألة يدخلها يجد نفسه قد اتضح له وبانَ ما يجب أن يعتقده ويسلكه في الحياة من وراء هذا الكتاب.

ونكرر على أنفسنا كثيرًا حين نبتدئ في موضوع مثل هذا الموضوع وهو: "**التربية بقراءة النصوص**"، ما ورد عن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «**ليس منَّا مَن لم يَتغَنَّ بالقرآنِ.**»[1]، يعني: ليس منَّا من لم يستغنِ بالقرآن عن غيره.

والاستغناء معناه: أن تترك كل شيء غير القرآن -وحين نقول: "القرآن" أكيد أننا نقصد: "والسنة"- فلا تجعله هاديًا، ولا مرشدًا ولا منارًا ولا تجعله أمام عينيك أبدًا، ما تجعل أمام عينيك إلا القرآن؛ لأنك استغنيت به عن غيره، فإذا وقعت مشاعر الاستغناء؛ أتى الفتح، أتى النور، أتى البيان، استطعت أن ترى ما لا يراه غيرك، ترى في كلام الله ما يرشدك إلى كل خير في كل باب خير، وما يمنعك عن كل شر ويجنبك طريق الشر، لكن في البداية لا بد أن نبدأ ربنا: بإظهار الثقة في كلامه وكلام رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، الثقة: اليقين المطلق الذي من ورائه تقول: "كل حاجة لي سأجدها في كتاب الله وفي سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-" وهذه ليست دعوى، إنما تتحول فتصبح حقيقة، فلا يقل أحد: "يا رب اشرح صدري للقرآن، واجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وهمي" بكلام يقوله ومن

---

[1]() أخرجه البخاري (7527).

جهة الفعل تراه مستغنيًا عن الكتاب! فلا هو ربيعه ولا هو نوره ولا مقبل صدره على كتاب الله! وحَدّ علاقته بكتاب الله هو قراءته وتهجيه بلسانه! وهذه الحال قد وصفت، وأحاديثها ونصوصها تامة الوضوح، وهي التي أفرزت ما أفرزت أمام أعيننا هذا الجيل الذي تراه يدّعي أنه من أهل الإيمان، وهو يطعن في الإيمان، بل ويقتل أهل الإيمان! ألم يقل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- مخبرًا: « **يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَكُمْ مع صِيامِهِمْ، وعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[2].

فهؤلاء القوم يقرؤون القرآن، فإن هذه الصفات كلها صفات كمال في الأصل، (**يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ**)، لكن هناك عيبًا في قراءتهم للقرآن، ما عيبهم؟ هذا العيب الوحيد الذي أتى بكل صفات النقص بعد ذلك: لا (**لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُم**) وفي رواية «**لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»[3].

يعني ليس لهم نصيب من قراءة القرآن إلا إخراج الصوت فقط! هذا نصيبهم! لكنه ليس مصدرًا لتفكيرهم، ليس مصدرًا لبيان الحق، لبيان الخير، لمعرفة حقيقة الإنسان،

---

[2] () أخرجه البخاري (5058).

[3] () أخرجه مسلم (1068).

لتفسير الحياة، لمعرفة من هو الله، لمعرفة كيف يعاملنا الله، كيف يعامل أولياءه، كيف يعامل أعداءه، ماذا يحب الله. ما أصبح هذا هو المصدر، أصبح هذا الأمر في أحيانٍ كثيرة ليس من اهتمامات الناس، يعني مثلًا لو أتينا في باب تربية الأبناء، وعزمنا على أنّه لابد أن يفتح الصغير عينيه فيعرف ماذا يحب الله. حين نأتي نجد نفسنا بنفسنا ما نعرف كل ما يحبه الله، ما تتبّعنا مثلًا في كتاب الله قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ**) وأصبحت أمام أعيننا، ألست تحب أن يحبك الله؟ أكيد الجواب: نعم، ومَن يحب أن يحبه الله ماذا يفعل؟ يبحث عن ماذا يحب الله، فلو كنتَ **صادقًا** سيحبك الله، **شاكرًا** سيحبك الله، **وتبحث عمّا لا يحب الله**؛ فتتجنبه لكيلا تقع في ذلك، نحن في مقابل هذا ممكن أن نكلم صغيرنا عن أشياء كثيرة أننا ما نحبها، أو أحيانًا نقول له: "ربنا ما يحب هذا الشيء" ونحن لم نقرأ نصًا واحدًا في أنه يحبه أو لا يحبه! هو في أحيانٍ كثيرة أقول كلامًا صحيحًا في أن ربنا ما يحب هذا الشيء والمعنى العام صحيح، لكن لو وضعت أمام عينيك (القرآن) ما تحتاج أن تخترع أو تؤلف ولا تحتاج أن تقترح ولا تحتاج هذه الأشياء كلها، أنت فقط تحتاج أن تتبِع وتطلب التوفيق فتقول الكلام المناسب في الوقت المناسب.

نحن لابد أن نشعر أننا فقراء معرفة، جائعون، نحن وأبناؤنا، والله أنزل علينا ما أطعمنا به، لابد أن نشعر أن عندنا جروحًا كثيرة، والله أنزل الدواء، فنحن ماذا نفعل؟ نضع دواءً على كل داء، لا يمكن أن نعتقد أن ربنا خلق أرواحنا وأبداننا، فأطعمنا وسقانا من الأرض، ولم يطعمنا ولم يسقِ أرواحنا! لا يمكن أن نعتقد في ربنا هذا! فالذي خلقنا لم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، هذا الكلام المختصر ماذا يقول؟

يقول: لا يمكن أن تُهمل هذه الأرواح، بل لها منهج ومنهج دقيق، يقول لك بالتفصيل: "ماذا تفعل؟"، "ماذا تقول؟"، "على أي شيء تربي"، لأي شيء تُرشِد؟ لكن لهذا المنهج طريقًا، حتى تأخذ هذا الطريق يستلزم منك أن يكون عندك صفات، أخذنا الصفة الأولى المهمة على الإطلاق:

الثقة واليقين في أن هذا المنهج فيه كل ما أحتاجه، فلا أحتاج أن ألتفت يمنة ولا يسرة.

هذا أول الشروط بمعنى: ما يصلح لمن يدخل في هذا الباب أن يكون زرع فكره وثقافته في أرض الغرب والشرق ثم يأتي ويقول: "وأيضًا معنا القرآن!" لا ما يصح، بل لا بد من أن تكون زراعة أصيلة، فقط في هذه الأرض، يعني فقط

مع القرآن والسنة -كما اتفقنا- بعيدًا عن أي فكر لا بد أن تخلّي عقلك من أي فكر، لابد أن تشعر أنك لست بحاجة، هذا أول الشروط، إذا ما تحقق هذا الشرط كل الكلام الذي سنقوله بعد ذلك لن تكون له قيمة، مهما جئنا نطبق بعد ذلك أو نبحث، لن تكون له قيمة، لا بد أن نبتدئ بالاكتفاء؛ ولذلك الاكتفاء بكتاب الله وسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- سلوك أثره انفتاح الباب، أثر هذا السلوك: انفتاح الباب، يُفتح لك باب العلم، ترى ببصيرتك ما لا يراه غيرك، هذا السلوك وهو: **إفراد كتاب الله وسنة -صلَّى الله عليه وسلَّم- بالمصدرية** -فقط هما المصدران الوحيدان لكل خير- في التربية، في التعليم، في البيان، في الإرشاد، في الإصلاح، في الاقتصاد، فيما أردت، أول الأمر: أن أعتقد أنه هو الوحيد.

ثم بعد ذلك اعلم أنك تحتاج إلى طرق، كثرة الطرق على بابه، معناها: أن هذا الحق واليقين ما يظهر بمجرد أنك تمر على كتاب الله، وقد مر معنا قول عليّ -رضي الله عنه -: "**ولا يُدرك الحقّ إلا بالجدّ** "، ما هو باللعب الحق يأتي! فإذا جعلته المصدر الوحيد؛ خرجنا من أكبر مشكلة نعيشها وهي: تعدد المناهج، هذه أكبر مشكلة نعيشها: أنت عقلك تشوّش

بأفكار كثيرة وتأتي تأخذ من القرآن؛ ولست صافيًا بالقدر الكافي.

صَفِ عقلك، أسقِط كل شيء واجعل هذا فقط المصدر الوحيد؛ لأنك لست بحاجة لمصدر غيره لا بد أن تشعر أن هذا الكتاب (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**)[4] ، هذا الكتاب نزل ليأخذك بألطف ما يكون إلى طريق الحق والرشاد في الدنيا وفي الآخرة، ما تظن أن الكتاب سيصلح لك الآخرة فقط، بل ويصلح لك الدنيا، ومن يظن أن الكتاب سيصلح له الآخرة فقط؛ فقد أساء الظن بربه؛ بل يصلح لك الدنيا والآخرة.

ماذا يعني أنه يصلح لك الدنيا والآخرة؟

يعني: كل مسلك لك في الدنيا، ستجده في هذا الكتاب، كل مسلك تريده، ستجد ارشادك في هذا الكتاب.

إذًا الخطوة الأولى المهمة: أن نتعامل مع كتاب الله بتوحيد المصدر.

كما أننا نوحد الله في العبادة، نوحد المصدر في المتابعة، ما لنا إلا كلام الله وكلام رسوله.

---

[4]() فصلت: 42.

الخطوة الثانية: كلام عليّ -رضي الله عنه-: "**ولا يُدرك الحقّ إلا بالجدّ** ".

هذا مثله كلام الجاحظ عندما يقول: "**إن باب العلم لا يُفتح إلا بعد إدمان قرعه**" ، فتبقى تطرق على باب العلم حتى يُفتح، ليس تسلية، ليس قراءة سريعة، ما هي جرائد، ما هي رسالة أتتك عن طريق وسائل التواصل! بل هذا وحي، لما كان ينزل على النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان ينزل بصفة عجيبة، حتى أن الصحابي لما أراد أن يرى ماذا يحصل للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، رأى كم يتعرّق النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- من أجل أن يستقبل الوحي!

وحين كان فخِذ النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- على فخِذ الصحابي؛ كادت فخذه أن تُخلع! (**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**)[5] قول ثقيل من جهة معانيه، وحتى من الجهة الحسية، فكيف تتصور قول مثل هذا ينزل، يتكلم به الله؛ فتخضع الملائكة وأنت تقرأه بطرف عينك! ثم تبغي أن تُرشَد منه وتُشفى ويُنار لك! الله يغفر لنا! كوننا نظن ذلك في كتاب الله، هذا نوع استهزاء، لكن الله غفور رحيم، الله يعلم ضعفنا وهو وحده الذي يعيننا، نسأل الله أن يعيننا ويصرف عنا شر الاستهزاء وشر الانشغال عن كتاب الله.

---

[5]() المزمل: 5.

الشاهد الآن: أنا عندي خطوتان مهمتان:

الأولى: نوحّد المصدر.

الثانية: ندمن القرع، نكون جادين.

طبعًا ضد الجد: اللعب، وضد الجد: الكسل أيضًا، هل تظن أنه لا يوجد منهجًا تربويًا تربّي به ولدك، في كتاب الله وفي سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-؟!

الجواب لكل المؤمنين: نعم، هناك منهج تربوي. حسنًا، ما دام هناك منهج تربوي، أين المربين؟ أين المهتمين؟ أين الأمهات والآباء من كلام الله وكلام رسول الله؟!

المقصود: أن المشكلة أتت في الكسل، ونحن نتعوذ بالله من الكسل!

هاتان الخطوتان أهم شيء: أن تفهم أن هذا هو المصدر الوحيد، وأنك يجب أن تأخذه بجد.

لكن دعنا نضيف على كلمة (الجد) عوامل في داخل كلمة الجد، ما معنى "**ولا يُدرك الحقّ إلا بالجدّ** " ؟

(الجدّ) كلمة واضح معناها؛ الجدّ بمعنى: الاجتهاد، لكن سأجتهد في ماذا؟ على الأقل نقول في ثلاثة أمور:

الأمر الأول والأهم: سنجتهد في اللجوء، في الانكسار، في الطلب من الله.

نجتهد في أن نطلب منه أن يفتح لنا الأبواب، أن نتعلم، أن نستطيع أن نصل إلى طريق نرشد به أنفسنا، ونرشد به أبناءنا، نجتهد في طرق باب الله أن يفتح علينا.

الأمر الثاني: نجتهد في متابعة سنّة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في التربية.

يعني تتعلم بالتتبع، متابعة سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في التربية، فيما يتكلم به -صلَّى الله عليه وسلَّم- مع الصغار، وما يتكلم به مع غيرهم، وهذا يلحقه النظر أيضًا إلى كتاب الله، نجتهد في هذه النقطة، يعني نجتهد في فهم كيف خاطب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الصغار؟ ماذا قال لهم؟ ماذا أوصى لهم؟ ونحن في المرحلة الأولى من هذه الجلسات أتينا بأحاديث رأينا كيف النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- خاطب فيها الصغار، كيف خاطب الحسن بالحديث المشهور عند الناس كلهم يقولونه في دعاء في دعاء القنوت، كيف أنه كان -صلَّى الله عليه وسلَّم- يخاطب الحسن، والحسن لما توفي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان عمره ثمانِ سنوات، فحفّظه حديث: «**اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت، وعافِنا فيمَن عافيت**»[6]

---

[6]() أخرجه أبو داود (1425).

علّم الحسن أن من مسئولياته أن يسأل الله الهداية، فتنظر كيف علّمه. ومررنا أيضًا على حديث النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الذي علّم فيه ابن عباس، ومعلوم أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- مات وابن عباس لم يناهز الحُلم، يعني قرب البلوغ وعلمه ماذا؟

«يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سألْتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ.»[7]

وكل مفاهيم القضاء والقدر التي نراها على أنفسنا كبيرة، علمها لابن عباس الصغير، فمعناه سنجتهد في معرفة خاطبهم بأي شيء، ونفهم هذا بالتفصيل وما يلحق ذلك، سواء في كتاب الله أو في سنة -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

يعني ليس المقصود فقط أن نعرف ما خاطب به الصغير، لكن نبتدئ بما خاطب به الصغير.

الأمر الثالث الذي نجتهد فيه: نجتهد في بيان هذا لكل من يطلب الإرشاد في باب التربية، إذا كان عندك قلم؛ اكتب، إذا

---

[7]() أخرجه الترمذي (2516).

كنت تعرف تخاطب أحدًا خاطبه، إذا ما لقيت حولك أحدًا تخاطبه، اكتب؛ ليس شرطًا لمن هم معك؛ اكتب لمن سيأتي بعدنا، الذي تصل له انفع به نفسك ومن حولك والمسلمين. واليوم النشر أسهل ما يكون، حتى الناس الذين ما عندهم لغة يكتبون.

فنجتهد في الثلاثة أمور: نجتهد في الابتهال إلى الله أن يرشدنا، نجتهد في التعلم، ونجتهد بعد ذلك في نشر الحق. ونشر الحق هذا أمر -الحمد لله- يسير ويحتاج إلى نية صادقة، أسأل الله أن يرزقنا النية الصادقة.

بذلك اتفقنا على مدخل مهم لمسألة التربية بالنصوص، وباختصار ظهر لنا أننا نقصد بالتربية بالنصوص: ألّا نتعدى النصوص في التوجيه والإرشاد، وفي كل موقف من مواقف التربية نفهم نصًا فنُرشد به من نربيه. تبقى دائمًا في هذه المشكلة؛ الآليات. نحن اتفقنا الآن ماذا سنفعل؟ سنوحد المصدر ونجتهد، لكن تبقى دائمًا الآليات، يعني كأن السؤال: كيف سأعلمهم؟ ما هي الوسائل التي أعلمهم بها؟

وجواب هذا السؤال -الحمد لله- ما أيسره! هذا إنما يأتي بالتوفيق، الوسائل عطية، المجتهد؛ الله يفتح عليه، وييسر له الوقت المناسب، والطريقة المناسبة ويصل، وكل من واجه موقفًا فليقل: "اللهم اهدني وسددني!" وستكون النتيجة: إن الله

سيهديه ويسدده. يعني كأننا نقول: ليست وسائل إيصال الحق هي التي فيها صعوبة، بل أهم شيء أن تعرف الحق، ويفتح الله عليك بالحق، ثم سترى كيف بسهولة تستطيع أن تستفيد من مواقف كثيرة مع الصغير توجهه بها، وكيف أنّ الصغير من أليَن ما خلق الله، أبسط توجيه يقع في فؤاده تمامًا، لكن أنت كن صادقًا والله يفتح لك الأبواب. ولن تحتاج أن تخترع لهم طرقًا، كل الذي يحتاجونه: أن يكون معك الحق، لو معك الحق سيصل الحق إلى أهله. يعني المقصد: لا تشغلوا أنفسكم بالوسائل، بقدر ما تشغلون أنفسكم بالحقائق، وعندما تشغل نفسك بالحقائق، ستدخل في عبادة جديدة وقتما يأتي الموقف قل: "اللهم اهدني وسددني!"

"ماذا أقول له، وأقف على ماذا، أترك ماذا؟" مهما نصحك الناصحون لن ينفعوك إلا أن يسددك الله، فحوّل طلب العلم إلى عبادة؛ اسأل الله أن يعلمك، حوّل تعليم الصغير إلى عبادة، واسأل الله أن يسددك، وبذلك -الحمد لله- تُحاط مسألة التربية كلها كوظيفة عبادة؛ لأننا ابتلينا بأنفسنا نربيها، وابتلينا بهؤلاء الصغار نربيهم، وكلها قربة إلى الله، أسأل الله أنه يتقبل منا القرب اللهم آمين.

بذلك نكون اتفقنا على هذا المفهوم، مع تكراره وبيانه يتضح ويصل في النهاية أن يكون منهجًا صحيحًا، ويطرد

بقية المناهج التي نعلم أنها أتت من عند البشر، الذين مناهجهم تابعة لأهوائهم، فما يهْوونه؛ يعظمونه، وما لا يرونه يوافق هواهم؛ يحقرونه!

أما أهل الإيمان فميزتهم في التربية: أنهم يضعون الحقائق المسلّمة أمام أعينهم، التي توصلهم إلى القيم العليا، مالت نفوسهم إلى ذلك أو لم تمِل.

يعني أنت الآن مهما كنت غاضبًا من الناس ومهما كان هؤلاء الناس مبغوضين عندك، لكن لا تستطيع أن تقول إن الإحسان ليس قيمة عليا، أبدًا؛ مؤمن وتعرف أن الإحسان قيمة عليا، ولو جاء أحد استرشدك وأنت أمين، لا يمكن إلا أن ترشد إلى الإحسان، حتى لو كان هذا ليس على هواك، لكن القوم يسنون قوانينًا تخالف القيم العليا، ولا نحتاج إلى ذكر أمثلة، يكفينا في ذلك أن الله قد حكم عليهم في كتابه، ونحن في غنوة عنهم وعن غيرهم. الحمد لله من شكر الله ألا نجعل أمام أعيننا إلا كتاب الله وسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- شاكرين الله على أننا أهل هذه النعمة.

كنا بدأنا المجموعة الأولى، فأخذنا أحاديثًا للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ثم المجموعة الثانية بدأنا بآيات من كتاب الله، وبدأنا المرة الماضية بقصة قارون، وكيف أننا وقفنا مع القصة وقفات، تقول القصة لنا: "هذا نهتم به، وهذا نخاف

عليه، هذا نحرص على بيانه" بهذه الطريقة، فنحن نقرأ القصة القرآنية، ونقول: "هذه المفاهيم يجب أن تكون موجودة في فهم، في عقل، من أُربي" يعني هذه طريقة التتبع. ليس المقصود كيف أحكي القصة للصغير، ليس هذا المقصود بطرحنا لا؛ نحن نقصد عندما نقرأ القصة -كما قرأنا قصة قارون- أن نقول: "من القصة فهمنا أن هذا المفهوم ضروري أن يكون في قلوبنا" نفس المسألة سنأخذها اليوم في قوم سبأ، وسنقف مع بعض المفاهيم الموجودة في القصة. قصة قارون مشهورة قصة سبأ مشهورة، ليس المقصود أن تحكي له القصة -وإن كان صحيحًا أن تحكي له القصة لا مانع- نحن موضوعنا: أن نستخرج مما ورد في كتاب الله -سواء كان قصة أو غيرها- مجموعة مفاهيم، من المهم بيانها لمن نربي صغيرًا كان أو كبيرًا. غالبًا أننا سنتكلم عن سن تسعة إلى خمسة عشر سنة، وعندما يكون الأمر يحتاج ما قبله نشير أن هذا يكون فيما قبل تسع سنوات.

بسم الله

هذه القصة معروفة في كتاب الله، ونبتدئ أولًا ببيان أن هذه القصة أتت في السورة التي باسمهم، وهي سورة سبأ، ومعلوم أن في سورة سبأ أتى أولًا الكلام عن داوود -عليه السلام- وسليمان، وسنعيد مرة أخرى ما ذكرناه في قصة

قارون. قصة قارون كانت في سورة القصص، وكان قبلها سورة النمل، وكان في سورة النمل أتى الكلام عن سليمان -عليه السلام- ثم أتت القصص تتكلم عن فرعون وقارون. بماذا خرجنا بنتيجة من هذا الترتيب؟ نفس النتيجة التي سنخرج بها من هذا الترتيب هنا:

هل المشكلة في كون أن عندك مالًا؟ لا؛ المشكلة كيف تعامل نعمة الله. يعني ليست القضية في العطية، القضية في معاملة العطية، يعطيك ذكاء؛ نعمة، كيف تعامله. يعطيك جمالًا؛ نعمة، كيف تعامله. يعطيك مالًا؛ نعمة، كيف تعامله. يعطيك أولادًا؛ نعمة، كيف تعامله.

فهنا في سورة سبأ تجاورت القصتان، في نفس السورة الأمر واضح جدًا أكثر من وضوحه في قصة قارون وسليمان.

قصة سليمان بالإجمال أشارت إلى ملك عظيم، وشكر عظيم، مما أدى إلى أن يموت سليمان -عليه السلام- كما في القصة، ويبقى أثر ملكه حتى بعد موته، ويبقى الجن مسخرين، ما اطلعوا على موته، إشارة إلى ماذا؟ إلى شيء مهم: أن هذا أثر عظيم للشكر، في مقابل قوم كانت عندهم النعمة -كما هو معلوم في قصة سبأ-، قصروا في الشكر؛

ذهبت عنهم النعمة، هم أصحاب النعمة، ما بقيت بعدهم، ذهبت عنهم؛ فمعناه أن الشكر له أثره العظيم.

على ذلك سنبدأ بأول وأهم مفهوم في القصة، يعني في القصتين معًا أول وأهم مفهوم:

مفهوم الشكر

قصة سليمان تقول: تشكر؛ يُنعَم عليك. تكفر؛ تزول النعم. هذا أمر واضح جدًا، المطلوب بيانه بتفصيله لمن نربي، أحد أهم المفاهيم التي تُبيّن للصغار: (أثر الشكر على ما أُنعم به علينا)، ثم في القصة نفسها سنجد عجائب في عدم الشكر، الذي هو الضد تمامًا وهو: البطر، وأظن اليوم نحن أحوج ما نكون لمناقشة موضوع مثل هذا، كون أن الناس يعيشون في النعم، ومشاعرهم تجاه النعم: كفرانها! الذي هو بمعنى: البطر؛ لكن دعونا نبتدئ أولًا بمفهوم الشكر، قبل أن ننتقل لضده وهو البطر.

ومع شهرة مفهوم الشكر وطلبه، لكن المسكين هذا الذي نحن نربيه نقول له: "اشكر" فلا يفهم تفصيل هذا المعنى! وربما يكون الكبار فاهمين له، لكن القدرة على النقل فيها مشكلة، وربما نحن -الله يساعدنا- لا نفهمه!

بيان مفهوم الشكر

لن أخاطب الصغير الآن، سنفهمه نحن أولًا، ثم سنختار من هذه المعاني أشياء تصل إلى الصغير.

الشكر يبتدئ أولًا بمشاعر الإحساس بوجود النعمة.

ما في شكر، إذا لم يكن هناك إحساس، إحساس بمشاعر وجود النعمة ومناسبتها لي، والرضا عن وجودها. **الإحساس بالنعمة**.

ما الذي يخالف الإحساس بالنعمة؟

هذه أول تركيبة مفهوم الشكر: ماذا يخالف الإحساس بالنعمة؟ موت الإحساس، عدم وجوده، الاعتياد، تعتاد أن الشيء موجود، وليس فقط الاعتياد، أيضًا هناك مشاعر أخرى نصل بسببها إلى عدم الإحساس: يعني تحصل حالة من الانقلاب عند الإنسان، يكون نظره مقلوبًا! فيرى النعمة، نقمة! وهذا أخطر ما يكون في البطر، وهذه هي الحالة التي مروا بها هُم، يعني قوم سبأ ليست مشكلتهم فقط لم يشكروا، بل قلبوا في مشاعرهم النعمة إلى نقمة، شعروا أنها نقمة.

فإذًا الشاكر ما وصفه؟ يحس بوجود نعمة.

هناك تناسب طرديّ، كلَّما زادت قوة الإحساس بالنعمة؛ يزداد الشكر.

إذًا أول عامل في مفهوم الشكر: أن يشعر الإنسان أن معه نعمة.

العامل الثاني: النسبة. يعني الشاكر لا يمكن أن يكون شاكرًا، وفي قلبه مفهوم الشكر، إلا إذا نسب النعمة لله وليس لنفسه، الذي يشعر بالنعمة لكن يشعر أنه أتى بها لنفسه، هذا لن يشكر، هذا سيشبه قارون. وسيتبين لنا الفرق بين قارون وقوم سبأ:

قارون كان يشعر بالنعمة، قال تعالى: (**فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ**)[8] فكان يشعر بالنعمة؛ لكن أين مشكلته؟ (**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ**)[9] يعني يعرف أنه هو أُعطي، معترف أنه أُعطي.

لكن **قوم سبأ** ما شعروا أن عندهم نعمة!

هذا الفرق، فنحن من البداية لابد أن نعرف أن الشاكر لا يمكن أن يكون شاكرًا إلا إذا شعر بالنعمة، ويحتاج أيضًا أن ينسبها إلى الله، والنسبة إلى الله، في داخلها أشياء كثيرة، من أهمها: أنه لا يشعر أنه أهل لها، ما يشعر أنه يستحقها، الله امتن بها، وأعرف أني لا أستحقها، لا يقل: "أنا بذلت، أنا اجتهدت!" ويسمع من والدته: "لأني صبرت!" يعني حين تفسر أمه وجود النجاح في حياتها! تنسب لنفسها، -عزَّ وجلَّ-

---

[8]() القصص: 79.
[9]() القصص: 78.

يقول: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ)[10] أنت حتى لا تستطيع أن تحبس نفسك، قال رسول الله: «ومَن يَتَصَبَّرْ» يعني يبتدئ؛ «يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»[11]، لست أنت حتى صاحب الصبر! ولا يقل: "أنا أصلًا قائمٌ للّيل، صائمٌ للنهار، فربنا كافأني!" من قال لك إنك قُبلت؟! هذه كلها خيوط توصله لأن ينسب النعمة لنفسه، حتى لو نسبها لطاعته، أنت لا تجزم بأنك مقبول ثم تقول: "هذه نتيجة الطاعة!" لكن نحن نتأمل، نرجو أن نُقبل، ونرى أن ربنا يذيقنا طعم السير على الطريق المستقيم، لكننا لسنا ضامنين للقبول، وهذا لا يجعلنا نسيء الظن في ربنا، لكن أيضًا لا نعتمد على عملنا، ويجعلنا دائمًا نسير ونحن خائفين وراجين، ما نقنّط أنفسنا، ولا نؤمّن أنفسنا.

الشاهد: أن الشاكر لا بد أن يشعر أن هذا الباب المغلق عليه في بيته نعمة، أن هذا الجدار الذي يفصله عن جيرانه نعمة، وأن صاحب النعمة هو الله.

فإذًا هذا هو الإحساس المطلوب، ما نريد إحساسًا إجماليًا، يعني الآن عندما نقول: "الشكر فيه إحساس ونسبة" نقول: "والخطأ هو إجمال الإحساس" بمعنى حين نتكلم عن النعمة، نقول: "الحمد لله، نحن في نعم كثيرة!" (نعم كثيرة) هذه ما

---

[10]() النحل: 127.
[11]() أخرجه البخاري (1469).

تأتي بالمشاعر، بل التفصيل هو الذي يأتي بالمشاعر، كونك تغلق بابك، كونك تنام وأنت في حالة من الراحة، ما أنت بخائف، فهذه نعمة عظيمة، ولو ما وجدت شيئًا تأكله! لكنك لست خائفًا لا على ولدك، ولا على عرضك، لا يحتاج الناس أن يذوقوا الحرب ليعرفوا معنى الأمن، هذا يكون غباءً! لو كنت لا بد أن تذوق الحرب لتعرف طعم الأمن! كيف أذوق الحرب؟! ثم الله أعلم، هل أسلم وتسلم بلدي أو لا نسلم!

الشاهد: أن أنه لا بد من الإحساس بالنعمة مع نسبتها إلى الله، ثم لا بد أن تكون المشاعر تفصيلية، يعني إحساس تفصيلي، مع نسبة تفصيلية.

العامل الثالث في مفهوم الشكر: وجود عمل يقابل هذه النعمة، يعني كل نعمة، الشاكر عليها، عامل لها، يعني قوة بدنك لها نوع شكر، وجود مالك له نوع شكر، طعامك الذي تطعمه له نوع شكر، كلّ بحسبه.

فلا يتحقق الشكر إلا إذا أتيت بالثلاثة أمور:

- إحساس بالنعمة بالتفصيل.
- ونسبة تفصيلية.
- وعمل يقابل النعمة.

(عمل)؛ ولذلك حينما يوجّه الخطاب لآل داوود، يقال لهم: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا)[12] يعني العمل الصالح في حقيقته شكر على النعمة.

الآن سنقول لمن نربيه: إن كل عمل صالح تقوم به، في حقيقته شكرٌ على النعماء، كل عمل صالح! صلاتك، صيامك، طاعتك، ذكرك. كلها تعتبر في الحقيقة شكر على النعمة.

هذا يتفرع منه شيء مهم، أننا ونحن نناقش مفهوم الشكر مع الصغير، نبيّن له أن النعم التي أنعم الله بها علينا، والتي نريد أن نشكرها، لا تختص فقط بنعم الأبدان، بل تعلو عليها نعم الأرواح.

يعني الآن نحن نكلمه عن النعم ونقول له: "الله -عزَّ وجلَّ- أنعم بها علينا، ولا بد أن نعمل" لكن أين هي هذه النعم العظيمة؟ حولك في كل مكان. هذا فيما ينفع بدنك، لكن هناك نعمًا أعظم منها، ما يشترك معك فيها أحد من أهل الكفر.

يعني النعم الدنيوية وما يتصل بالدنيا، عامة لكل الناس، سواء كانوا كفارًا أو مسلمين، لكن تعالَ للنعم الأعلى منها، التي واجبك أن تزيد في شكرها، أهم نعمة أُنعِم بها علينا: **أن عرفنا ربنا بنفسه** هذه أعظم نعمة! وقيل: "هذا بابي"؛ ولذلك

---

[12] () سبأ: 13.

أول كلمة تقولها في الفاتحة: "الحمد لله"، هذا نوع اعتراف بمنّة الله، الثناء على الله، لما له من كمال صفات، يعني أنت تشعر أن النعمة العظيمة التي أُنعم بها عليك هي أنك عبدٌ لملك عظيم، متى سألته؛ أعطاك، وهذا القرب منه شرفٌ عظيمٌ، متى أردت أن تدخل عليه؛ صليت الركعتين، متى أردت أن يذكرك الملك؛ ذكرته، متى أردت أن يشكرك؛ شكرته.

فهذا بنفسه نعمة عظيمة، لا بد للصغير -بالتسريب والتفكير والبيان والتكرار والتفصيل- أن يصل أنه ليست النعمة أني آكل وأشرب؛ لأن هذا الكافر والبهيمة تشترك معي فيه، لكن النعمة أني:

- كلَّما خفت؛ عندي ركن شديد.
- كلَّما احتجت؛ عندي من أسأله.
- كلَّما انكسرت؛ عندي من يجبرني.
- كلَّما افتقرت؛ عندي من يغنيني.

فيبقى إحساسه: "أنا لستُ ضائعًا في هذه الحياة، أنا في أمن، والناس في خوف، أنا في معرفة، والناس في جهل، أنا في نور، والناس في ظلمة. وهذا أنت تبدأه مع الصغير، والله يكمله له، والله يكشف له عن أسرار كل شيء حوله؛ ومن

أجل ذلك كان الكلام عن النعمة لا يُحصر مع هؤلاء في المحسوس من النعم، وإن كانت هذه نعم عظيمة، نعمة الأمن، نعمة توفر المطعم والمشرب، وسيأتي في وصف قوم سبأ ما يدل على ذلك؛ لأن الله يمتن عليهم بماذا؟ قال تعالى: (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)[13] يعني من النعم عليكم: أن عندكم بلدة طيبة فيها كل خير، والأهم: الرب الغفور.

فمعنى ذلك: أن هذين الخطين، لا بد أن يمشوا سويًا، كلَّما كبر، كلَّما قلنا: "النعمة أن أنت لك صمد، تصمد إليه في وكل وقت، أنت بالله ولست بي، أنا وأنت بالله، لست أنا التي معك، بل الله هو الذي معنا" وليس ما تقوله بعض الأمهات: "لا تخف أنا موجودة!" بل "لا نخاف لأن الله معنا" وهذا الصغير أتى جاهزًا لذلك، لكن العبث بفطرته يصعّب عليه الأمر، يعني نحن لا بد أن ننقذه، وخصوصًا أن هناك كذبة كبيرة طويلة عريضة! تقول: "الطفل الصغير لا يستطيع أن يتحمل الغيبيات، الطفل الصغير ما يفهم إلا المحسوسات!" كذب والله؛ لأن هذا الكلام الذي يقولونه نظريًا في مرحلة رياض الأطفال -إن هذا الطفل لا يفهم إلا المحسوس- هم بأنفسهم ينقضونه حين يوجهون له أفلام الكرتون التي كلها خيال! وهو يستجيب لها، يستجيب للعصاة السحرية، يستجيب

---

[13]() سبأ: 15.

لمن عنده مئة يد وألف عين، يستجب لكل الخرافات التي يقولونها! فالكذبة تقول: "هو لا يفهم إلا المحسوس فلا تكلموه أنتم عن الغيب!" ثم يشغلون قدرته على الإيمان بالغيب بهذه التفاهات! فحينما تأتي أنت تكلمه عن الله وعظمته، يقارن بين الله وبين التافه الذي يراه! هذه جريمة، أكبر جريمة: أن تعتقد أن الله خلق الإنسان غير جاهز للإيمان بالغيب! بل هو مئة في المئة جاهز للإيمان بالغيب، صفحة بيضاء، وتلك الجارية الصغيرة تسع سنوات، يسألها -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «أَينَ اللهُ؟»[14] ما تعلمت، ترعى الغنم في البادية، تقول: "في السماء"، معنى ذلك أن الإيمان بالغيب مستقر في نفوس هؤلاء، ومن الكذب تصور أن هؤلاء ما يفهمون، وهذه لعبة خطيرة، خطيرة في أهلها والمعروفين والمسؤولين عنها، لكن ليس شأننا أن نقلب صفحات أهل الإجرام، بل شأننا أن نحفظ أبناءنا؛ لأننا من نسلّمهم لمثل هذا.

المقصد: أن هذا الصغير الذي أمامي قابل لأن تغذيه، بحيث تعظّم له النعمة، سواء كانت النعمة المحسوسة أو النعمة المعنوية وهي معرفة الله. صغير سيعظّم كل ما تعظّمه، هذه الميزة في الصغير أن الذي تراه أنت عظيمًا؛ سيصبح عنده عظيمًا.

---

[14]() أخرجه مسلم (537).

أي أمر أنت تقوم فيه بردّة فعل، ما أن يأتي الأمر أو الصوت أو الكلام، إلا وهو يفعل نفس ردّة الفعل، وانظر للصغار هذا شيء مشهور معروف، أنت بمجرد أن يؤذن الأذان تصلي، هو بمجرد أن يخطو، يركع ويسجد، لماذا؟ هو ارتبط في ذهنه أن هذا الصوت وإن لم يفهم معانيه، فهذا هو ردة الفعل عليه.

فنحن نصنع إنسانًا، نشكّله، المهم عندك هو المهم عنده، وما ليس له قيمة عندك ليس له قيمة عنده، فلا تعتقد أنه ليس لك أثر، وطوال الوقت نشتكي أنه دخلت علينا الأدوات، صحيح نحن ما ننكر هذا، لكن لا زال أهل الإيمان بخير، ولا زال هذا يسمعك، ولا زلت أنت المحبوب عنده، ولا زلت أنت الذي ترقبك عينه، يعني يراك صورة، وإن أتت خالفت هواه، لكنه في نهاية الأمر سيرى الذي تقوله هو الصواب. وهذا يحتاج منا أيضًا معرفة أي المراحل التي يمر بها، إذا تيسر لنا غدًا في بداية اللقاء نتكلم عن الموضوع.

الآن دعنا نتكلم عن مفهوم الشكر، وهو أصل المفهوم الذي نبحث فيه. **ماذا نريد أن نبين له؟ ما هي حقيقة الشكر؟**

أن تشعر بالنعمة، فأنت كلَّما زدت بيانًا تفصيليًا لكل نعمة؛ كلَّما زاد هو شعورًا بها، وكلَّما زدت أنت نسبة تفصيلية لكل نعمة؛ زاد هو نسبة إلى الله، وكلَّما قلت: "هذا شكر وهذا

شكر" فهم أنه لابد أن يعمل من أجل أن يشكر. إلى أن تأتيني القاعدة الأخيرة:

أن يفهم أن الطاعات إنما هي شكر لله

الطاعات شكر لله، الله لا يحتاج منك طاعة، إنما تطيعه، يعني تشكره -وهو حقه أن تشكره-؛ فيزيدك، ويثبّتك، ويرزقك، فكل المصالح عائدة إليك. إلى أن نصل نتقدم ونحن نتكلم عن النعم، أن نثقّل كفة النعم المعنوية، التي أهمها على الإطلاق: أن عرّفنا ربنا بنفسه. هذه أهمها. إلى أن نصل أنه من عظيم النعم: أنك **أنت لواحد** فقط لواحد ولست مشتتًا! والشتات من أعظم البلاءات على النفوس. فيبقى هذا الكلام أنت تتكلم فيه بالتفصيل، "إن كل حاجة تحتاجها؛ افزع إلى الله، كل أمر تريده افزع إلى الله" ولا تخَف الأسباب والأخذ بها

إن كنت أنت فاهم جيدًا؛ فلن تتعارض المسألة عنده. لماذا؟ لأن الخلق حارثون وهمّامون، هكذا خلقهم ربنا، قال رسول الله: «**وأحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ- عَبدُ اللهِ و عَبدُ الرَّحمنِ، و أصدَقُها حارثٌ و هَمَّامٌ**»[15]

حارث وهمام، بمجرد أن يحتاج؛ سيتحرك، فقط أنت قل له: "قبل أن تتحرك ببدنك، اطلب الواحد الذي بيده كل شيء،

---

[15]() أخرجه أبو داود (4950).

هو الأول الذي ليس قبله شيء، هو الآخر الذي ليس بعده شيء"

وصغار يعني في سن تسع وعشر سنوات، حين يعلّمون معنى اسم الأول وأثره، دائمًا يذكرون أنفسهم بكلام صريح، "قبل أن أفعل الشيء، أطلب الأول، قبل أن أتحرك لشيء، أطلب الأول".

فهو مفهوم سهل عليه، أنت لا تُنهى عن أن تتحرك، بل تحرك، لكن قبل أن تتحرك ابدأ بالأول الذي ليس قبله شيء. وهذا يحتاج لشيء كثير من التفصيل والبيان والمناقشات، إلى أن يقع في قلبه شعور أنه ما أعظم هذه النعمة، ما أعظمها؟! لأنه سيكون نتيجة وجود نعمة التوحيد وبيانها في ذهنه: أنه هادئ مستقرٌ، ما عنده اضطرابات، ما عنده مخاوف، وأنتم احسبوا حساب هذه المسألة، الآن لا تحسبوا حساب وهو هنا مضطرب، احسب حساب وقتما تستقر الأمور، ستستقر على أي شيء في نفسه؟ هل ستستقر هو خائف من كل شيء أم ستستقر وهو واثق بقرب ربه؟ بمعنى وهو صغير ما تفهم اضطراباته، ما تعرف مخاوفه، لا يستطيع أن يعبر عن مخاوفه، ثم يكبر ويصل العشرينات وما بعدها فيبدأ هذا يصير عنده حالة نفسية، هذا يصير معتزل الناس، هذا معقد ما يتعامل مع الناس، هذا داخل في حالة من

الخوف الشديد، هذا عنده اضطراب وجداني! من أين هذه المشكلة كلها؟ من قبل، وقت الغليان ما كان هناك أحد يركن إليه، يعني حين يربّى أناس على التخويف، وأنه مثلًا "هؤلاء الجن يفعلون بك وهؤلاء يأخذونك وهؤلاء يقتلونك!" هو ساكت في مرحلة المراهقة، هناك مخاوف في داخله، لكنه قد يُظهر الشجاعة مع الأصحاب ولا تشعي به، وبمجرد أن تستقر أموره، تستقر الاضطرابات، تظهر الأمراض! يظهر أنه مريض بالخوف الشديد، يظهر أنه مريض بالحقد على الخلق، يظهر أنه مريض بمصائب كثيرة، بالحسد للناس، يظهر مريض بالسرقة! يقول: "لأن هؤلاء ما هم تجار، هؤلاء سارقون!" ثم يقول عقله: "يجوز سرقة السارق!" قانون عنده! ويخطط للسرقة. وأنا ما أمزح بهذا الكلام، أنا أتكلم عن حالات حقيقية، حالات حقيقية يصل لدرجة أنه يرى نفسه أنه ممكن أنم يسرق، ويجلس ينتظر الوقت المناسب للسرقة، بدلًا من أن يفكر في أن يعمل. من أين تأتي هذه الاضطرابات؟ كل هذه الاضطرابات الفكرية سببها: أن المرحلة من تسع إلى خمسة عشر سنة، ما كان فيها بيان للحقيقة: "من ملجؤك؟ من قسّم الأرزاق؟ من يعطيك؟ من يغنيك؟ من يرفعك؟ من يجبرك؟ من يسترك؟" هذه كلها أسئلة عنده، فيتخيل نفسه هو الذي سيفعل هذا الفعل، يمر

بمواقف مثلًا، ويرى خائنين، يكون مثلًا ساكنًا في عمارة ثم يرى امرأة تخون زوجها، وما يعلم أحد أنه يرى هذه الأشياء، ثم يكبر وكل تفكيره أن الناس كلهم خائنون! كل هذه الاضطرابات وأنت بعيد، قد لا يصرح بهذا، لكن لا بد وهو في هذا السن أن نتكلم عن الله وعن كماله وعن نعمة معرفته، أنه وقتما يضطرب وجدانك؛ يسكّنه الله.

كثير منا قد يكون مر بموقف رأى خيانة بكل أنواعها، لكن لما عصمه الله ما تحول عنده لوسواس، وطرد الشيطان، وذهبت الفكرة وعرف أن الناس مختلفون، وأنه لا يوجد تعميم في مثل هذا، لكن تخيل جحيم إنسان يظن أن كل الناس بهذه الصورة! هذه الحياة تصبح جحيمًا!

ما الذي يُذهب عنه هذه الفكرة؟ يُذهب عنه هذه الفكرة أن يعمد إلى ربه، وتسكن نفسه بالله، وتذهب الاضطرابات، والشيطان لا يلحّ عليه بنفس الفكرة. ومشكلة هذا السن أن الشيطان يمسك لهم نقطة ضعفهم ويلحّ عليهم، فإذا ما سكنوا عند باب الله، فلا يوجد شيء يسكّنهم؛ ولذلك تراهم كثيرًا يهربون، يكلمون أصحابهم، يهربون من شيء في داخلهم، فلو عرفوا الله سكنت نفوسهم.

فهم لا بد أن يفهموا أنهم كما يحتاجون أن يأكلوا ويشربوا -والحمد لله النعمة متوفرة-، كذلك يحتاجون أن يلجؤوا أن

ينكسروا لكي يذهب عنهم وسواس الشيطان، وأن يكونوا محفوظين، وهذه نعمة عظيمة، وهذه تستحق الشكر، والشكر يأتي منه المزيد، والله يعرّف العبد بنفسه، ويسكّن قلبه، ويشرح صدره، ويفهم أن هذه هي النعمة العظيمة، مهما زالت أشياء الدنيا. نتوقع أننا لو بقينا نناقشه؛ يصل لسن النضج وقد استقرت نفسه، ما فيها اضطرابات، المشكلة أننا لا نستطيع أن نقيس كل الاضطرابات في هذا السن، مع بلوغه، مع تداخل الأفكار عليه، لا تفهم ما الذي يحركه، لكن أنت املأه بالحق، فحينما تستقر هذه الموجات المذبذبة في نفسه، تستقر على حق.

وسأعيد عليكم القاعدة التي ذكرناها المرة الماضية: أن كل هذا النقاش الذي نناقشه ليس لنصل إلى سلوك في هذه المرحلة، لا يُطلب من هذه المرحلة السلوك، أنت الآن أعطِ، ولا تفكر أنه سيأتيك بردّة فعل، لكن حين تهدأ كل الأمور تكون النتيجة: أنها تسكن على خير، تسكن على قلب قد امتلأ بالإيمان، لكن لابد أن يشعر أن من نعمة الله عليه: أن أنعم عليه بمعرفته، وأن التائهين هم الذين لا يعرفون الله، وتأتي مواقف بسيطة تبيّن أنك لو شكرت؛ شكرت لنفسك؛ لأن الله قال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[16] تأتي المواقف تقول:

---

[16]() الإسراء: 7.

"الله سيشكر لك، الله سيحسن لك، إذا أحسنت فأنت المنتفع" فما تضطرب نفسه، نتيجة مسالك الناس الذين حوله.

إذًا أول شيء نستفيده من قصة سليمان -عليه السلام-، وقصة قوم سبأ: **مفهوم الشكر** الذي يجب ألا ينفصل ليل نهار عنا، هذا مفهوم من المفاهيم الدائمة في الحياة، وهذا الكلام نقوله خصوصًا في هذا الوقت الذي نعيش فيه، والأعداء متربصون بالشباب، يملون عليهم مشاعر -وستزول يقينًا لأنها تخالف الفطرة السوية-، تجد الشباب اليوم، حين تقول لأحدهم: "اشكر الله" يقول: "هذه مخدرات!" يقول لك: "كونك تقول اشكر الله، واحمده على النعمة التي أنت فيها، فهذا كلام يخدركم!" يخدرنا عن ماذا؟ يخدرنا عن الثورات التي يريدونها! هم يريدون الثورات! فإذا قلت: "احمد ربك واشكره، وانظر إلى النعم التي أنت فيها" فلن يثور أحد، وليثوروا لا بد أن يشعروهم أنهم مظلومون، مساكين، وما عندهم نعم، وغيركم يعيشون في أفضل حال، وأنتم يعطونكم الفتات...وكل هذا الكلام له أهله الذين يصدرونه، ليس فكر أبنائنا أبدًا، والمشكلة أنه ليس فقط أبناؤنا الصغار هم الذين يستقبلون مثل هذا الكلام، لكن يستقبله الصغير والكبير!

وكأن القوم نسوا أن الرسول قال: «**واعلَم أنَّ ما أصابَكَ لم يكُن ليُخطِئَك وما أخطأكَ لم يكُن ليُصيبَكَ**»[17]

أين إيمانك بالقضاء والقدر؟ هم لو اجتمعوا كلهم كبيرهم وصغيرهم، على أن يمنعوك حبة خردل كُتبت لك، ما استطاعوا، ففكر بطريقة الذين يؤمنون بالله وبالقضاء والقدر ولن يستطيعوا أن يمنعوا عنك شيئًا. وهذا الأمر يدخلنا في نقاشات بعيدة عنا، لكن النهاية أن نفهم أننا نمر بأزمة من جهة الشكر؛ ولذلك من زلّت أقدامهم في عدم شكر نعمة الله -عزَّ وجلَّ-، الله قادر على إعادتهم، لكن دعنا نحافظ على الأقل على الباقين تحت أيدينا، أن نبيّن لهم أن الشكر يأتي من ورائه المزيد، وأن إحساسك بالنعمة هذا بداية حياة قلبك، وأن الذي يملك هو الله، والذي يمنع هو الله، والذي يعطي هو الله، والذي يرفع هو الله، هو مالك الملك يؤتي الملك لمن يشاء، والله لو نازعتهم العمر كله وما أراد الله نزع أي شيء منهم؛ ما نزعت، لكنك تهلك نفسك!

فالمقصد الآن: أننا في أزمة حقيقية بالنسبة لموضوع الشكر، فلابد من الكلام عن تفاصيله لمن سَلِم.

---

[17]() أخرجه الترمذي (2516).

ومن لم يسلم، ماذا نفعل له؟ ينبغي علينا أن نكلمه عن الضد، وهو كيف أن البطر يوصل الإنسان إلى مهالك، من كلام الله هذا نموذج واضح من كلام الله.

بذلك نكون انتهينا من مناقشة أول مفهوم مهم ابتدأنا هذه القصة من أجله، نأتي الآن إلى المفهوم الثاني في القصة:

عدم شكر نعمة الله

القصة ابتدأت بأمر عظيم جدًا وهو: الامتنان بمساكن القوم، يعني الامتنان بالوطن، بالأرض التي يعيش فيها الناس، يقول الله -عزَّ وجلَّ- (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ)، مسكنك الذي فيه السكن، فهذه المسألة التي هي: سكنك، وطنك، وما فيه من نعم، هو بنفسه آية من الآيات، نعمة من النعم العظيمة، بمعنى: أن من آيات الله -عزَّ وجلَّ- في خلقه أن جعل لهم طريقة يسكنون بها، (يسكنون) هنا ما أقصد يعيشون، في بيوت من السكينة والطمأنينة.

فما هي علامات سكنك؟ ما هي علامات وطنك الذي إذا عشت فيه كنت ساكنًا، تشعر أنك في نعمة؟

ابتدأ الكلام بقول إن السكن أحد المفاهيم المهمة التي يأتي من ورائها الشكر أو عدمه، الآية بدأت بقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ)، إذا الآية في المسكن الذي كانوا

يسكنونه، ثم ستأتي التفاصيل عن المسكن والنعيم الذي لم يكن ليحصّلوه بأيديهم!

الشيء المهم الآن: أنه لابد أن يعرف أبناؤنا أن من سنة الله أن يسكن الناس في مساكن، وينزل عليهم السكينة بسبب سكنهم، والناس يتفاوتون في السكن، فقوم سبأ مسكنهم كان آية، يعني مكان وطنهم الذي يسكنونه كان آية عجيبة، من توفّر الدنيا وشأن الآخرة، قال تعالى: (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) معناها أن كل شخص حين يريد أن يقيّم هل هو أُنعم عليه في السكن أو لا، ماذا يحسب؟

- هل توفر له شأن دينه.

- يعني يسمع الصلاة والأذان ويمشي أبناؤه إلى مساجدهم آمنين ويجتمعون معنا في مثل هذه المجالس المباركة، فنشكر ونصلي على رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم- ونُرشِد إلى الحق والسنة.

- والقوم يرون الدين أمامهم صحيحًا على سنة النبي الكريم، بعيدًا عن عبادة غير الله وعن الشرك، وأنعم عليهم بديار الشرك فيها مهجور -بفضل الله- لا مقابر تُعبد، ولا يُطاف حولها ولا يُذبح لها.

- ويخرج ولده وأهل بيته إلى صلاة الفجر فلا يرون أهل سكر ولا أهل فجور ولا أهل الذي ل، ما يرون هذا، إنما يصلون إلى مساجدهم وهم لا يرون إلا المشّائين إلى المساجد.

معنى ذلك أننا حين نريد أن نقيّم البلاد التي نسكن فيها، نقيّمها بمقدار ظهور الدين فيها، كلَّما زاد الدين ظهورًا، كلَّما كانت سكنًا، هذه حقيقة المسألة، سكن؛ لأن النفس فيها تسكن من الباطل، وكلَّما زادت مظاهر الباطل فيها، كلَّما اضطربت النفس، وكلَّما زادت مظاهر الحق؛ كلَّما سكنت النفس.

لو اختلّ ميزان أن السكن مرتبط بالدين؛ ستتحول المسألة إلى مجرد أطماع، كأن الدنيا هي دارنا، كأن الدنيا هي نهاية أمرنا، ومعنى ذلك أن العبد إذا نظر إلى هذه النعمة -أن دينه يُقام- فشكر؛ أتى الله له بنعمة الدنيا، أتاه من الدنيا ما يغنيه، وأتى له من الدنيا ما يرضيه، أصبح رضا الإنسان مرتبط بالشيء الأعظم؛ فأرضاه الله في الشيء الأدنى.

أما إذا اختلت المسألة؛ فمهما أعطي من الدنيا ما يشبع، وعلى ذلك هذا المقياس يسهل علينا الأمور، مظاهر الإيمان تزيد وتنقص، في الأماكن، في الأحياء، في البلدان، في المدن، في الدول، تزيد وتنقص، السكينة تزداد، كلما ازدادت السكينة؛ كلَّما ازدادت مظاهر الإيمان، في البيت، في الحي،

في البلد، في الدولة، وأهل هذا المكان كلما زادت سكينتهم بالإيمان؛ أُنعم عليهم بالدنيا، وأهم شيء في نعمة الدنيا: نعمة الرضا بما قسم الله.

فهنا يتفاوت الناس في سكنهم، يعني يعيشون في بلدان بعيدة عن الشرك وفيها مظاهر معاصي، فالحمد لله، أحسن من بلدان فيها الشرك وفيها المعاصي.

وهكذا، وكلَّما زاد الإنسان معرفة بأن هذه هي النعمة، وتأكد أن هذه هي النعمة، وهي ظهور مظاهر الإيمان؛ كلَّما أُنعم عليه بما يسكن شأن دنياه، تسكن دنياه.

وحين تبدأ المسألة تنقلب، مهما أُعطي من الدنيا ما يشبع.

فنحن ماذا نريد أن نفعل؟ نفهم أن السكن آية من آيات الله، وأن النعمة التي تُعطى للساكنين، تُعطى بقدر ما معهم من إيمان.

لكن أهل الكفر ساكنون في أراضي وعندهم الدنيا. ساكنون لكن السكن هجرهم، سكن النفوس وهدوؤها هاجرٌ لهم، بنِسَب، ولو ما كان هاجرًا لهم، ما كانوا غيّبوا عقولهم بمسكرات ومخدرات وبكل أنواع ما تراه، فالسكن ليس لمجرد أن تتباهى به، بل السكن حتى تسكن نفسك، فهو بنفسه آية، ومن وجهة أخرى سنرى أن قوم سبأ قد ابتلوا بالعطية

في السكن، يعني عندما يعطيك الله سكنًا ويكون فيه نعم الدنيا، سيكون هذا السكن اختبارًا لك، ماذا تفعل به؟

معنى ذلك أن هذا من المسائل المهمة والمفاهيم التي لابد أن نلفت نظر صغيرنا إليها:

السكن والديار والوطن، إنما هو قسمة من الله.

فإذا سكنت في مسكن، أهم شيء أن تسكن نفسك فيه، وما تسكن نفسك وأنت من أهل الإيمان، إلا إذا ظهر الإيمان، فإذا ظهر الإيمان؛ تسكن النفس، وإذا سكنت النفس بالإيمان؛ جاءها الرضا بما قُسم في الدنيا، و(جاءها الرضا) ليس معناها أنها لا تأخذ من الدنيا شيئًا، وهذه البلاد المباركة آية من آيات الله، وفقط اقرأ في تاريخها القريب ليس البعيد حتى تعرف، هؤلاء أهل جدة كانوا قبل أقل من خمسين عامًا، يعيشون في عشش، ينامون في عشش، أقدامهم في الخارج! ثم أنعم الله عليهم لما ارتفعت راية التوحيد، صحراء هذه الديار ما فيها ماء، ثم تُفاجأ بهذه الأرض الصحراء التي ما فيها ماء، أنها تنتج ألبانًا! من أين تنتج هذه الألبان؟ يقال لك في التقارير إنه هذه الأبقار التي تنتج منها الألبان الموجودة في الصحراء، تأكل من مزارع في أمريكا الجنوبية، يعني هذه الشركات الموجودة في المملكة، تتفق مع مزارع في أمريكا الجنوبية، خضراء ويأتيها الماء من المطر وتنبت

وتحصد وتجمع وتركب الباخرة وتأتي لأجل البقرات التي في الصحراء، ويأكل أهلها ويشربون ما لم يكن يخطر على خواطرهم!

من أين يأتي هذا؟! من التوحيد الذي يجب أن نحافظ عليه.

فالمقصد أن الذي يقرأ التاريخ القريب وليس البعيد، يعرف كيف لأرض صحراء أن تتحول، فتأتيها الحضارة ساعية، والناس يقومون بعقد اتفاقيات معها، ويريدون رضاها! من أين أتى سكن الدنيا والآخرة؟! من أين أتى سكن الروح والبدن؟! من التوحيد، وإذا حوفظ عليه؛ جاء الخير الكثير، وإذا ما حوفظ عليه؛ ما بقي لا هذا ولا ذاك! لا يجد الإنسان سكينة في روحه ولا يجد في بدنه.

وعلى كل حال، الناظر يعرف أن ما في أحد أخذ إلا ما قُسِم له، لكن ما نبحث عنه: أن تسكن أرواحنا، هذا الذي لابد أن يصير مهمًا عند أبنائنا، يعني حين نربي أبناءنا، ما نبقى طوال الوقت نقول: "غدًا تصير تاجرًا وعندك أموالًا، أو تصير كذا وعندك أموالًا!" وكل الكلام "عندك أموالًا!" الحقيقة هذا الكلام قبل أقل من عشرين سنة كان عيبًا في مجالسنا، أن نقول لبعض: "فلوس" هذه الكلمة عيب أن نقولها؛ لأن هذا مما أنعم به الله على الناس، يعني كنا نقول:

"الخير عندي وعندك" ما كنا نقول هذه الكلمة بهذه السهولة! لكن كل شيء ينقلب نتيجة دخول الثقافات، نتيجة حب الدنيا، نتيجة أنهم كبروا وكل شيء أنه تصير عندك فلوس، يعني "تتعلم لتجد غدًا وظيفة ويصير عندك فلوس، تدخل منافسات ليصير عندك فلوس!" يعني لدرجة أنه قد يسرق ليصير عنده فلوس، لكن ليسرق ليس شرطًا أن يكسر ويهدم! لا، معروف كيف يسرق! وكلَّما وجد فرصة، أهم شيء أن يكون هو عنده فلوس! ثم يشتكي أن العاملين هنا ليسوا أمناء ويسرقون! هؤلاء تربية الذين يشتكون ويبكون كل يوم! ومن سيخرج من تحت أيديهم، سيخرج أسوأ! ما دمنا نطعمهم في الدنيا.

أنت سكنك حتى تسكن، ليس لتجري وتلهث وتجد نفسك لا تستطيع أن تعيش لا ليلك ولا نهارك! نحن نسعى في الدنيا ليطيب شأن ديننا، لنستطيع أن نأكل فنقف نصلي، حتى نبني بيتًا نوسّع فيه على الذراري، لا لمجرد امتلاك بيت طويل، عريض، يساويه التراب يومًا ما!

فكوننا لا نفهم أصلًا سبب وجود المال في الدنيا؛ أفسد علينا المسائل.

فالمقصد الآن: أن مفهوم السكن، البلد، الوطن، أنت تريد الأمن والأمان لتستطيع أن تقوم في الذي ل تصلي وأنت في غاية الراحة، تخرج من غرفتك لموضئك، وتتوضأ وتتحرك

في بيتك وأنت كلك في حالة من الهدوء، وتجد هذا الهدوء الذي تناجي به ربك، وتصبح في صباحك تذهب لعملك ما ترى منكرًا ولا ترى زورًا، هذا الذي تبغاه من سكن الدنيا، أن عينك ما تقع إلا على الحق وأهله، أن تتمتع بقدرتك على طاعة الله، السكن مظلّة؛ لنبقى نعيش نعبد الله، فقط تسكن نفسك، ثم إنا زائرون، غدًا سنزور القبور، والقبور -كما هو معلوم- الوقت فيها طويل، يعني من مات قبل مئة عام مثلًا، له مئة عام وسيبقى إلى أن تقوم الساعة! ومع ذلك سمّاها الله (زيارة)، قال تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) إذا كان القبر زيارة، الدنيا ماذا ستكون؟! لا شيء! فليس من أجلها يحصل التنافس، فالوطن هنا ليس أرضًا، مجرد تراب، بل الوطن مكان لنسير فيه على هذه الأرض موحدين، هنا القوم يدافعون عن حق الله، يرفعون راية التوحيد، يغلقون أماكنهم من أجل أن يجتمع الناس على الصلاة، اجتمعوا أو لم يجتمعوا ليس شأنهم، بل شأنهم أنهم يجتمعون على أن يغلقوا وقت الصلاة من أجل هذا الدين، جُمْعتهم مميّزة ما فيها أعمال، إنما لدين الله، لإقامة فرض الله، هذا هو الوطن، ليس ترابًا، بل الوطن مكان ما تسكن النفس بدينها، فإذا قدّروا الدين؛ سيقدرون الوطن، وإذا ما قدروا الدين، سيقولون مثلما قال هؤلاء الذين يريدون الحياة الدنيا عند

قارون: (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[18] ينظرون شرقًا وغربًا راغبين في الانفلات!

أسأل الله أن يحفظنا ويحفظ ذرارينا، ويجعلنا ممن شكر النعمة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[18] () القصص: 79.

اللقاء الثاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله -عزَّ وجلَّ- حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله أن نكون من أهل القرآن، أهله وخاصته، جعل لهم القرآن هاديًا ونورًا في هذه الظلمة التي يعيشها الخلق؛ فاهتدوا به ووصلوا إلى ربهم سالمين، نسأل الله بمنّه وكرمه لنا ولذارينا أن نصل سالمين، اللهم آمين.

كنا توقفنا عند هذه الآيات العظيمة في سورة سبأ، عن قصة قوم سبأ، واتفقنا أن ليس مقصدنا بالاجتماع مناقشة القصة لفهمها؛ القصة مشهورة مفهومة مجملها واضح، لكن المقصد: الوقوف عند القصة واستخراج مفاهيم للتربية.

فمقصدنا أصلًا في هذه اللقاءات: "**التربية بالنصوص**".

من أجل أن نتحقق من أن كل القرآن صالحٌ لأن تجعله مفاهيم تربي بها، ونحن واثقون، متأكدون، متيقنون، من أنه لا يوجد طريق إلا هذا الكتاب العظيم، لكن المقصد بـ (التحقق) هنا: أنه كيف نأخذ المفاهيم ونوصلها إلى أبنائنا، أنت تفهم الآية على وجه العموم، من جهة الفهم نحن نفهم، لكن من جهة تحويل هذه المفاهيم التي تفهمها إلى معانٍ تربي

عليها. هذا هو المقصد من لقائنا، تتحقق كيف تستخرج هذه المفاهيم. مثلًا تستفتح سورة مثل سورة البروج، وتقرأها وتفهم مقصود السورة، وتستطيع أن تشرحه حتى لابنك، لكن ما المفاهيم المهمة الموجودة في السورة التي يجب أن أبدأ أركز عليها وأبيّنها وأذكّره دائمًا بها؟ مثلًا لو استفتحت البروج، وقرأت القسم:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)[19].

(الْبُرُوجِ) معناها: البروج التي في السماء.

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) معناها: السماء ذات الأماكن التي تنزل فيها النجوم. النجوم تنزل في أماكن كأنها برجٌ، البرج الذي تعرفه، كأن السماء عبارة عن أبراج، والسماء تنزل فيها منازل، وهذه المنازل ما تتغير أبدًا، من أن خلق الله الخليقة إلى أن ينفرط عقد الدنيا، والمنازل هذه ما تتغير.

لكن ما علاقة (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) بـ (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ)؟

أنت تفهم الأقسام، والرابط بينها سيتبين لك، أنه: كما وضع الله كل شيء في الدنيا في موضعه، سيضع المؤمن في موضعه، والكافر في موضعه، حتى لو استطاع الكافر أن

---

[19]() البروج: 1-3.

يتجبّر على المؤمن، ويحرقه كما في قصة الأخدود، لكن النهاية في اليوم الموعود، وكل شيء سيصبح شاهدًا ومشهودًا، الأشياء ستكون في أماكنها.

يعني الدنيا تشهد لك أن الله وضع كل شيء في مكانه، لكن بالنسبة لنا نحن، كل شيء في مكانه متى يأتي؟ عندما تنتهي الدنيا بالنسبة لنا؛ ولذلك كل معالم الدنيا -كل معالمها يعني: النجوم، الشمس، القمر- حينما تقوم القيامة، تنتهي وظيفتها، فينتهي نظْمها، ويبقى نظْم الناس، المؤمنون في جنات النعيم، والكفار في الجحيم.

كأنه يأتيك السؤال الذي في سورة المطففين: (**هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**)[20] ؟ نعم ثُوِّبوا، الكفار وضعوا في مكانهم، والمؤمنون وُضعوا في مكانهم.

فهذه الأقسام تخرجك بمفهوم مهم:

أن الله -عزَّ وجلَّ- حكيمٌ يضع الأشياء في موضعها.

لكنك الآن تُختبر باختبار: أن الأشياء تراها كأنها ليست في موضعها، يُستضعَف المؤمنون، المسلمون، الأتقياء، ويحصل لهم كذا! لا يغرّك هذا الظاهر، هل رأيت أصحاب الأخدود؟ ألم يلقوهم في النار؟ ثم خرجوا من النار ودخلوا

---

[20] () المطففين: 36.

إلى جنات النعيم، ثم هؤلاء الذين أحرقوهم سيحصل لهم كذا وكذا.

فليس المقصد من وراء لقاءاتنا وفهم الآيات، الفهم الظاهر لها، الفهم الظاهر مطلب أساسي، أصلًا لن تستطيع أن تخطو الخطوة الثانية بدون الفهم الأساسي، لكن المقصد: أن الذي تفهمه، تخرج منه بمجموعة مفاهيم، هذه المفاهيم ماذا أفعل بها؟ أبيّنها، أوضّحها، أكررها، أجمع لها شواهد.

يعني قصة سبأ شاهد على من كفر، وقصة سليمان شاهد على من شكر.

ثم عندما نتكلم عن كفر نعمة الله، فهناك صورة عند سبأ، وهناك صورة عند قارون، وهناك صورة عند فرعون.

فالمفهوم ما هو؟

المفهوم: عدم شكر نعمة الله، والشواهد كثيرة على ذلك.

والمفهوم الثاني: شكر نعمة الله، والشواهد كثيرة على ذلك.

فأنت فكر في المفهوم الذي تستخرجه من خلال النصوص، معنى ذلك أنك ستقف أمام كل نص من كلام الله، أو كلام رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- تفهم ظاهره جيدًا، ثم هناك أشياء مهمة في داخل النص، مع التدريب ستبدأ تميّز أن هذا الشيء لا بد أن يُغرس في ذهن الصغير، وهذا الشيء

يجب أن يُغرس في ذهن الصغير، ويبقى يُكرر عليه هذا الشيء، وما هو مفهوم ولا اثنين ولا عشرة، بل منظومة من المفاهيم، بحيث تُشبع كل حاجات الإنسان التي نسميها نحن بـ "الجوع المعرفي"، أتى من بطن أمه، كما يجوع إلى الطعام والشراب، يجوع إلى المعرفة، عنده أسئلة كثيرة، يريد أن يفهم الواقع، يريد أن يفهم من صاحب هذه الأشياء؟ من يدبّرها؟ من يعطيها؟ من يمنعها؟ عنده أسئلة كثيرة، عنده جوع إلى المعرفة، كما أن بدنه عنده جوع إلى الطعام والشراب.

المشكلة أننا كل الذي نفعله -بصفة عامة، إلا من رحم ربي- نطعمه ونسقيه. ثم روحه الملحّة هذه التي تجوع، نهملها، بحيث لا يصل إلى الشبع، مع وجود معلومات، لكن يعيش يشعر أن الاشياء متناقضة، وإذا جاء له أي أحد قال له: "أنت دينك متناقض"، أو "الكلام الذي تقوله متناقض"؛ مباشرة يصدق! لماذا؟ لأنه فارغ؛ ما عنده شيء يستطيع أن يدافع به عما يحمله! والسبب: أننا نقول له فقط: "احفظ القرآن" نعم، احفظ القرآن، وهذا القرآن لو حفظته ارتقيت؛ لكن القرآن ليس لفظًا! بل القرآن معنى، والمعنى وراؤه مفهوم.

فأنت ماذا تفهم من معاملة الله لقوم سبأ؟ ماذا تفهم من معاملة الله لقارون؟ ماذا تفهم من معاملة الله لعاد وثمود؟ ليسوا مجرد قوم هلكوا، وانتهوا، بل نفس معاملته لهؤلاء سيعامل بها من أتى بنفس الصفات، سيعاملهم بنفس المعاملة؛ لأن هذه سنة ما فيها محاباة، **سنة الله** أن من توكل عليه كفاه، **وسنة الله** أن من توكل على غيره خذله؛ هذه سنة، تريد أمثلة، تجد كذا وكذا في الكتاب وفي السنة تجد أمثلة على هذا المفهوم. فإذا سمعت القرآن والسنة اعلم أنهما يشبعان الجوع الموجود في قلوبنا، لكن الأزمة: عدم الإحساس بشعور الجوع الموجود عند الأبناء، والموجود عندنا! ثم تحصل حالات تسمم! يُطعمون من الباطل فيحصل تسمم، فيصبح جسمهم غير قابل للحق، تصبح فطرتهم غير قابلة للحق، تموت القلوب وتتغير الفطر وتتشوّه، ثم حين نريد أن نصب عليها الحق، ما نجدها تقبل الحق! قد ذهبت! فأين الإشكال؟ الإشكال: عدم فهمنا أن القرآن أتى من أجل أن يُشبع هذا الجوع، وأنه حقًا جائع، حقًا يحتاج، وليس من باب الثقافة أو الترف العلمي، بل هي حياة وتفكير، ويرى الحقائق من وراء القرآن، يعني حين تدارسنا سويًا قصة قارون، رأيتم حال الذين يريدون الحياة الدنيا حين اكتشفوا الحقيقة،

هم أولًا قالوا: (**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**)

ثم أيضًا يمدحونه: (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[21]

لما قال الله -عزَّ وجلَّ- (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)[22]

تبيّن لهم (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ)

وأيضًا تبين لهم أمر آخر: (وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)[23]

معنى ذلك أن الفلاح ليس للكفار. متى تبين لهم؟ لما رأوا بأعينهم، لكن هل يُعقَل أننا كلنا لا نصدق إلا حينما نرى بأعيننا؟! هذه مشكلة؛ لأن معنى ذلك أن اعتقادنا فيه إشكال، يعني لو مِتنا وما رأينا بأعيننا، لن نصدق الخبر الذي قاله ربنا؟! لا، يجب أن نصدق الخبر الذي قاله ربنا ونصل إلى ربنا ونحن متيقنين أنه (لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لن يفلحهم، رأينا أو لم نرَ، لن يفلحهم، وما عندهم ماذا يقال فيه؟ يقال كما قال سبحانه وتعالى: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)[24] كل ما عندهم متاعٌ قليلٌ.

الشاهد: أن عينك سترى الواقع من وراء الآيات، متى؟ عندما نفهم ونكرر المفهوم، ونأتي بالآية من هنا والآية من

---

[21]() القصص: 79.
[22]() القصص: 81.
[23]() القصص: 82.
[24]() آل عمران: 196-197.

هنا، وكلها شواهد على هذا المفهوم، فهذا شيء آخر غير فهم الآيات إجمالًا، نحن عندنا أزمة: أنه حتى الفهم الإجمالي غير موجود، يعني هذا الذي يحفظ -جزاه الله خيرًا-، يحفظ لكنه يحفظ حروفًا وما يفهم معاني، فتجد المسلك في جهة والذي يحفظه في جهة أخرى، ولا تعجب لذلك، أنتم تخيلوه كأنه أعجمي، جاء حفظ القرآن، أعجمي يحفظ القرآن، كيف ستكون النتيجة؟ لن يتأثر بأي شيء، الناس يبكون وما يدري ما القصة، الناس يتأثرون ويناقشونا ويسألون وهو ما يدري عن ماذا يسألون، لا يفهم الكلام الذي نقوله؛ لذلك كثير يقفون وراء الأئمة في الحرم في رمضان أو في غيره، ويقرأ الإمام ويبكي، ثم يسلّم الأعجمي ويسأل: "لماذا يبكي؟" لأنهم يفهمون أن البكاء، إذا ذكرت الجنة أو إذا ذكرت النار، فقط.

أما العِبر التي تأتي في القرآن وما حصل بين النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وبين أعدائه، وكيف كانوا يستهزؤون به، فهذا كله يثير الوجدان لمن تصور ماذا في القرآن، وقصة مثل قصة سبأ المفترض أن تثيرنا خوفًا؛ لأننا نرى ملامحها في الواقع، والكلام الذي قالوه سنجد صداه اليوم، نسمعه بآذاننا، فيجب حين نسمع هذا الكلام أن نخاف أن يحصل لنا ما حصل لقوم سبأ، **قصة سبأ ماذا تقول لك؟** تقول لك: هكذا كانت البداية، ثم سكتوا لبعضهم، وهذه كانت النهاية. فحينما

تتصور أننا في البداية، تخاف أن نصل لهذه النهاية، هو لن يقال لك: "اسمع قصة سبأ تاريخيًا" بل "اسمع قصة سبأ، وخفْ من أن يُكرر زمان سبأ علينا اليوم أو على غيرنا غدًا".

إذًا ماذا نريد من القرآن؟

- نريد أن نقرأ ألفاظه حرفًا حرفًا.
- ونعتقد أن الله تكلم به.
- وأن المقصد من وراء هذه الكلمات المعاني، وأن المعاني تبني لنا مفاهيم، وأن المفاهيم تصور لنا الحياة، وأن هذه المفاهيم التي تصور لنا الحياة عندما تتكرر، تصبح عقيدة ثابتة راسخة، ما ينقضها شيء.

الله (لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) ، لن يفلحهم أبدًا، حتى لو ما عرفت كيف أفسر الواقع الذي نراه من أهل الكفر -افترض أنك ما عرفت-، لكن أنا على يقين من أن الله لا يفلح الكافرون، عرفت كيف أفسر الواقع أو ما عرفته، أنا أعرف هذه الحقيقة، فيصير ما يرى إلا بعين ما علم من كتاب الله، وهذا الذي نريد أن نصل إليه لنبني إنسانًا، ويذهب عنه الجوع المعرفي، ويصل إلى نتيجة: أن يعرف يقرأ كل الواقع، "يقرأ الواقع" لا نقصد بها أن يتهجّى الحروف، بل يقرأ بعين

بصيرته قبل عين بصره، ويقرأ أفعال الله، يقرأ كيف يعامل الله خلقه؛ لو أتينا بمثال بعيد ونقول: "السفينة"، السفينة عند الناس اليوم تعني: أداة من أدوات النقل، لكن السفينة عند حافظ القرآن الذي وعى مفاهيمه، السفينة: آية من آيات الله، ابتدأت بنجاة نوح -عليه السلام-، وانتهت بأن الله اليوم يحملنا فيها، يحملنا بمعنى: يعطينا، ينعم علينا بنقل كل شيء عن طريقها. اليوم السفينة آية؛ لأن الله جعل سنة البحر أن تدفع ثقلها؛ فجعلها تسير، الله الذي جعلها، لكننا حين يسأل أبناؤنا: "كيف تطفو هذه السفينة على البحر؟" فنشرح له (قاعدة أرخميدس)[25]، هذا فعل الله!

فالسفينة عندنا آية، تبدأ من قصة نوح، وتنتهي بالنعمة التي نعيشها، وفي داخل هذه الآية تفاصيل كثيرة في كتاب الله، فمثلًا لو أريد أن أفهمه (ما هي السفينة؟) ماذا أفعل؟ أبحث عن هذا الشيء في كتاب الله، وأجمعه كله، في مواطن قصة نوح، في مواطن الامتنان بخلق السفينة، وأقول له: "هذا مفهومك عن السفينة، افهمها بهذه الصورة" ثم حين يفهمها بهذه الصورة، ولاحقًا يعطونه قواعد في العلوم، كل هذا سيسقط فيه مجاريه، لكن الأساس أن يفهم هذا الشيء ما هو، يفهم كذلك ما هي السماء بالنسبة له، ما هي النجوم بالنسبة

[25]() مكتشف قانون طفو الأجسام داخل المياه والذي صار يعرف بقانون أرخميدس.

له، يعني حين ما سبقنا في الوقت المناسب نحن، وقلنا لأبنائنا ما هو مفهوم النجوم بالنسبة لنا، حين أتى لهم أناس يقولون لهم: "حظّكم في النجوم، وأنت إذا كنت من مواليد شهر كذا؛ فطباعك كذا!" وإلى آخر كل الخرافات، صدّقوهم! ويأتي من أبنائنا من يدافع عنهم ويقول: "هم ليس مقصدهم أن يتكلموا عن الغيب!" ويحتال ويدور، لكن لو كان هناك سابق فهم للمفهوم، ففهم ما هي هذه النجوم بالنسبة لنا، يأتي من يأتي، ولا يستطيع أن يغير عقيدته؛ لأن عنده حائط صد. فهذه هي المشكلة: أن هناك أشياء كثيرة حوله، وليس مجموع له مفهوم حولها.

نحن ماذا نريد في نهاية الأمر؟ أن تكون الحياة مفهومة من مفاهيم القرآن والسنة.

يحفظ القرآن، يفهم القرآن، يكوّن من القرآن مفاهيم، ينظر للحياة من خلالها، تصبح لديه عقيدة ثابتة، مهما أتت الرياح ما يذهب معها، المشكلة أن أبناءنا صاروا يحملون المتناقضات معًا! يذهب يشتري كتاب (السر) مثلًا الذي يتكلم عن أنك تستطيع أن تجذب لنفسك أي قدر! وهو يدرس في كتابه في التوحيد: (القضاء والقدر، وأن ربنا قدّر الأقدار وقضاها قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام)، أنت شخص واحد تقول كلامين متضادين! ما يصلح

هذا الكلام، لكن هذا لأن الكلام لا يسقط في مكانه، ولا له ذاك البعد الواضح في ذهنه، والذي يدرّسه له يقول: "هات الرياضيات أولًا أو هات العلوم!" وحين ينتهي يقول له: "راجع أنت التوحيد!" وانتهى الموضوع، هذه هي الحقيقة، وهذه هي النتيجة المنتظرة!

مناهج التعليم في هذه البلدة المباركة أحسن مناهج على الإطلاق، تدرّس العلوم بتفاصيلها، يعني تريد أن تعرف ماذا تعتقد؛ ادرس التوحيد، تريد أن تعرف ماذا تعمل؛ ادرس الفقه، تريد أن تعرف المصادر؛ ادرس الحديث والتفسير. هذا هو الدين، ومع ذلك -لا بد أن نكون صادقين- كم مرة جلسنا لندرس لهؤلاء الأبناء ونزيد بيانهم لما درسوه من كلام الله وكلام الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، لفهم الاعتقاد؟! حتى في الاختبارات النهائية قد يصل الحال بالأبناء وبالمعلمين والأهالي إلى عمل ملخص في صفحة لكتاب في مئة صفحة! ويفرحون لأنهم حذفوا الدليل! شيء عكس العقل! أنت تائه، والدليل يدلّك، فهل تفرح أن أحدًا سلبك الدليل حتى تضيع؟!

فكل هذه المفاهيم المعكوسة تسببت في هشاشة للعقل وللقلب وللفكر، وصار الأبناء أي ريح تهبّ عليهم؛ تطيح

بهم! يعني كيف لدولة ترفع راية التوحيد أن يكون في داخلها من يصل لدرجة الإلحاد؟!

إلا أنه يوجد إشكال في الداخل! كل الأسباب متوفرة للاستقامة، فلا بد من شكر النعمة، لكن بقيت مسؤوليتنا الخاصة، أن نفهم القرآن، ونفهّم أبناءنا القرآن، ونحول هذا لمفاهيم ثابتة كثيرة الدلائل والاستشهادات، إلى أن يصلوا لليقين؛ فتصبح هذه عقيدة.

أسأل الله أن يفتح علينا، ويشرح صدور أبنائنا لفهم كتاب الله، وتنطوي هذه الصفحة المؤلمة من حياتنا، تنطوي من التاريخ كله وتُمحى، تُمحى لحظات الهزيمة النفسية التي نعيشها، التي ما مرّ مثلها على تاريخ الإسلام، فترة كان المسلمون فيها مهزومين نفسيًا، وكثير ما هُزم المسلمون، مر كثير من فترات الضعف، لكن ما مضت فترة وكانوا مهزومين نفسيًا بهذه الصورة من الهزيمة، لدرجة أن العدو يصير هو الحبيب! لدرجة أن الأفكار التي هي ضرر على الحياة الدنيا -ليس ضررٌ حتى على شأن الآخرة- تصير هي المقبولة والمتداولة بين الناس.

نسأل الله أن يكشف عنّا جميعًا الغمّة وعن ديار المسلمين وأن نكون سببًا في كشف تلك الغمة.

بناء على ذلك دراستنا للقصة لم تكن دراسة تفصيلية، إنما أخذنا منها مجموعة مفاهيم وبدأنا بأول جملة في القصة:

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ)، وبدا لنا بوضوح أن المساكن آيات، يعني كونك تسكن ويسكن قلبك، فهذه آية، ومساكن الناس وأوطانهم آيات لهم، فكيف ينظرون لها؟ ينظرون لها على أن الله -عزَّ وجلَّ- أنعم عليهم، أعطاهم، رزقهم، لا هم فعلوا، بل الله أعطاهم، وأنت فكر في قوم سبأ، كيف أن الله -عزَّ وجلَّ- جعل آيتهم في مسكنهم الجنان، واللفظ مُثنى هنا:

- إما على عادة العرب في كون أن الشيء العظيم يُثنى.

- وإما (جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ) أنها على يمينهم وشمالهم بمعنى أنها تحيط بهم من عظمتها، يعني ديارهم في داخل هذه الجنتين، ينظرون إلى اليمين فيجدوا الجنة، وينظرون على الشمال فيجدوا الجنة.

ثم يأتي الأمر:

(كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) من أين تأكل؟ هل من جهدك أو من تعبك؟ لا، بل من الرزق الذي رزقك إياه ربك، فإذًا تخيل الجنتين اللتين نبتتا بنعمة الله، تصورها بالنسبة

لحالنا نحن، البترول الذي خرج من الأرض من غير جهد ولا تعب، تصور لتتخيل المسألة جيدًا، ثم تصوّر أنك ما لك يد في هذا، هذا رزق محض، وإنما رزقك إياه ربك الذي يربيك، يربيك بإعطاء النعم الحسيّة، ويربيك بالإرشاد والبيان، فالرب الذي يربي هو الذي يحول الناس من حال النقص إلى حال التمام في شأن دنياهم وفي شأن أخراهم.

الآيات (15)، (16)، (17)، كلها تتكلم عن نعمة السكن وما كان فيه، ثم تأتي الآيات (18) وما بعدها، تتكلم عن نعمة الأمن في الارتحال والانتقال وما كان فيه.

فالقصة فيها جزآن:

الجزء الأول: النعمة بالسكن وتفاصيلها، ثم كيف أذهبها الله عنهم.

الجزء الثاني: النعمة بالسفر والارتحال للتجارة والانتفاع، وكيف أذهبها الله عنهم.

في الجزء الأول الذي هو جزء السكن وما فيه، (السكن) بمعنى هذه الديار، (السكن) هذا الأكل، (السكن) معناه: وأنت في الوطن؛ من أجل ذلك الجزء الأول كله عن الوطن، والجزء الثاني عن السفر، فأنت في الوطن الآن تسكن، ووطنك بنفسه آية؛ لأن الأرزاق تأتيك دارّة، ما لك يد فيها

في الحقيقة، إنما كما أن السماء تمطر والأرض تنبت بأمر الله، كذلك الأرض تُخرج خيراتها للخلق، كلٌّ على حسبه، هؤلاء يُخرج لهم نفطًا، هؤلاء يُخرج الله -عزَّ وجلَّ- لهم معادن، هؤلاء يُخرج لهم ذهبًا. كلها أخرجها الله لخلقه، كلها اسمها رزق؛ ويدك إن عملت في حصاد أو في زرع فإنما هو بقوة الله، وإن عملت في استخراج أو في بيع أو في شراء أو في دفع أو في سحب، إنما **بحول الله وقوته**، فهي في النهاية رزق، ولو ما رزقك إياه، ما كنت تستطيع الحصول عليه ولو اجتمع أهل الأرض معك، وانظروا كيف تأتي الملابسات العجيبة، يعني لما تُرفع راية التوحيد يحتاج العالم البترول، ثم لا يوجد إلا في هذه الأرض، بقي محبوسًا إلى أن رُفعت راية التوحيد؛ فلما رُفعت راية التوحيد، احتاجه العالم؛ فخرج لنا! والذي أخرجه لنا ليس جهدنا ولا تعبنا ولا فعلنا، إنما رزق محض، وباطن الأرض ممتلئ بالخيرات، بدليل أنه في آخر الزمان حين يأتي وقت الحشر، في الحديث قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «**تَقيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأسطوانِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، فيَجيءُ القاتِلُ فيَقولُ: في هذا قَتَلْتُ، ويَجيءُ القاطِعُ فيَقولُ: في هذا قَطَعْتُ رَحمي.**

ويَجيءُ السَّارِقُ فيَقولُ: في هذا قُطِعَت يَدِي، ثُمَّ يَدَعونَه فلا يَأخُذونَ مِنه شَيئًا»[26]

فالأرض تخرج كنوزها، ويمر الناس على الذهب والفضة كأمثال الجبال ويتركونها طبعًا لأنهم في الحشر، ويشيرون إليها أنه في هذا اقتتلنا -على الذهب والفضة وكنوز الأرض-.

فالأرض مليئة بالكنوز لكن ما يخرجها الله إلا لمن شاء، إما يخرجها رضا للخلق، وإما يخرجها لبعض خلقه سخطًا عليهم.

فالمقصد الآن: الذي عندك من رزق من أين جاء؟ رزق من رزق الله، من رزق ربك الذي يربيك، وأنت انظر هل الرزق جاءك وأنت في حالة ترضي الله أم جاءك وأنت في حالة تسخط الله؟ لتقيّم هذا الرزق بالنسبة لك ما هو. حين تحتار هل هذا رزق الله راضي فيه عني أم ليس براضٍ؟ فإذا وجدت أرزاقك دارّة ففتش عن حالك، فإذا كنت قريبًا من طاعة الله -وإيفاء الله حقه هذا شيء لا نستطيعه، لكنك قريب من الطاعة، بعيد عن المعصية- ما استطعت، توّاب، تستغفر؛ حينئذ نقول: "إن شاء الله يكون هذا رزق طاعة" وإن كنت بعيدًا وصاحب ذنوب ومصرّ عليها؛ فهذا أكيد نوع

---

[26]() أخرجه مسلم (1013).

من أنواع العقوبة، وبذلك يكون الأمر واضحًا. فهذا أسهل مقياس في بيان التفريق بينهما.

ما المطلوب منك؟ ليس مطلوب منك أن تقتل نفسك من أجل أن تأتيك الأرزاق، المطلوب منك أن تأكلها إن أتتك وتتمتع بها، لا يُنكر عليك أن تأكلها، انظروا إلى الفعل (**كُلُوا**)، لكن مع اعتقاد أنه رزق الله، يعني كل وتمتع وأبقي قلبك معلقًا بأن الله هو الذي رزقك، ولا تنسب النعمة إلا لله، ثم إذا كنت صادقًا ستجد نفسك بالتفصيل تنسب النعمة، وفي الحديث القدسيّ قال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «**كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**»[27]

فكلنا جائعون إلا من أطعمه الله، وليست أموالك التي أطعمتك، وأنت بنفسك تعيش مواقف، تكون معك أموال وتجد كل المطاعم مغلقة! وأنت جائع، في غاية الجوع، لكن ومع تمكنك، لا يوجد أحد يعطيك!

فـ (**يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ**) ماذا نفعل؟ (**فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ**) كونك ما استطعمت الله وأطعمك، هذا ليس معناه أنك أطعمت نفسك، هذا معناه أنك غافل، والله

---

[27]() أخرجه مسلم (2577).

-عزَّ وجلَّ- لأنه حليم يعطي حتى الغافلين، بل يعطي حتى الكافرين، فلا يغرّك حلم الله.

فأنت من فوّت على نفسك لحظة الجوع، فلحظة الجوع قربة، حين تشعر بألم الجوع قل: "أطعمني" فيطعمك. وهذا لا يعني أبدًا ألّا تأخذ بالأسباب، نحن نقول: "الله هو **الأول** الذي ليس قبله شيء"، يعني قبل أن تتحرك من مكانك، قبل أن تتحرك من فراشك، قبل أن تتحرك من كرسيك، ومطبخك أمام عينيك، قل: "أطعمني"؛ فتصبح لحظة الجوع لحظة قربة، ثم يُطعمك فتجد ما تستلذ به، وسهل تناوله وتشبع سريعًا، وتجد بعدها خيرات، فلا تنسَ من الجوع أن تُسمّي، ثم بعد ذلك توفق إلى قول: "الحمد لله"؛ فيرضى عنك الله، وانظر إلى نعمة الله، قال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: « **إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا.** »[28]

فالمقصد: أن لحظة الجوع، لحظة الحاجة، هي لحظة عبادة.

الشاهد: أنه يقال لكم: (**كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ**) والمهم أنكم لستم ممنوعين من أن تتمتعوا، لكن أهم شيء: (**وَاشْكُرُوا لَهُ**).

---

[28]() أخرجه مسلم (2734).

المطلوب أمران:

- اعتقدوا يقينًا أن هذا رزق، وأن الله هو الذي أطعمنا وسقانا وكسانا وآوانا وجبرنا وسترنا.

اعتقد يقينًا وكرر، ليس بالإجمال، بل كرر في لحظات العطية؛ ليبقى قلبك معلقًا تناجي الله: "أنت أعطيتنا، أنت أنعمت علينا" يعني تشتهي الشهوة في قلبك، تشتهي أن تأكل كذا، فيعطيك وأنت ما طلبت! ليقول لك: "أنا قريب" فهذا كله يحيي القلب، يعني عطايا الدنيا وحاجاتها تحيي القلب، أن لك ربًا يملك كل شيء، خزائنه ملأى، يده سحاء الذي ل والنهار، كل هذا الكلام لابد أن يُكرر على الصغير: "هذا رزق الله"، "هذه عطيّة الله"، "ربنا الذي رزقنا"، "احفظ النعمة لأن هذه نعمة من الله"...بالتفصيل ونقرأ قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)[29]

هاتان الآيتان نحتاج دائمًا إلى وضعهما كقاعدة وتحليلهما دائمًا مع الصغار كالتالي:

(أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) أجيبوا على ربنا بالتفصيل، الزرع من أين يأتي؟ من أرض، ومن بذرة، ومن مطر، ومن شمس، هذه كلها اسمها: العوامل.

---

[29]() الواقعة: 63-64.

الآن انسب كل عامل من هذه العوامل لمالكها:

- **الشمس** مُلك الله.
- **الأرض** مُلك الله.
- **البذرة** مُلك الله.
- **التربة** مُلك الله.
- **الماء** مُلك الله.

الحول والقوة الذي تحرث به مُلك الله.

(**أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**) هذا التفكير المفترض أن يُطرح على كل شيء، هذا الطعام هل أنا طبخته أن إنه عطية الله؟

أنت فعلك الطبخ، وهذا الفعل هو من عند الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، لكن نفس المطعوم، نفس الذي طبخته من عند الله: خضروات أو أي زرع من عند الله، نار من عند الله، ماء من عند الله، ثم حولك وقوتك من عند الله. إذًا الذي طبخته عطية الله، ويبقى بذلك التفكير والتحليل الدائم. الصغير يريد أن يحلل أي شيء، مستعد للتحليل، لكننا نهمله؛ فيبدأ يحلل الكلام الفارغ من المعنى! لا بد أن يحلل ليصل إلى هذه النتيجة، يجيب على هذا السؤال، وهذه الأسئلة تعلمنا

أن المطلوب منا: أن لا ننسب النعمة فقط إجمالًا لله -وتنسبها إجمالًا فخير وبركة- لكن لا تقف عند هذا لتكوّن مفهومًا، فلا بد من أن تنسبها بالتفصيل، ونحن اتفقنا على هذا كثيرًا، أن التفاصيل هي التي تجعل الأشياء مختلفة، كلنا نقول: "الحمد لله رب العالمين"، لكن الفرق أن تشعر كيف لطف بك، كيف نجّاك، كيف كنت في طريق الضلالة فردّك، كيف أنك تفهم جيدًا، وكنت ستفهم الباطل، وتعيش معه، ثم ردّك عن الباطل، أنت تفهم كل هذا، فالفهم هذا يخرج قولك: "الحمد لله" من أعماق الفؤاد، غير أن تقولها بمجرد لسانك، "الحمد لله" يعني على ما ابتلانا! فرق كبير طبعًا؛ فمن أجل ذلك لا بد للصغير أن يفكر معنا.

الآن عندنا مسألتان:

(كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ) كلوا، لا تمنعون أبدًا من نعمه، لكن انسبوها إلى الله، ثم

(وَاشْكُرُوا لَهُ) هنا التخصيص، معناه: (له وليس لغيره) التوحيد في الشكر، هذا معنى واسع، بكلمتين مختصرتين: "قلبك لا يحمل مشاعر أن أحدًا امتن عليك غير الله" لا يوجد أحد صاحب منّة عليك إلا الله، ومن أعطاك ما سخره لك إلا الله، وهذا هو التوحيد، أن ترى أن المنن كلها من الله، لكن يبقى دائمًا هنا إشكال بسيط: يقال لك: «مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا

يشكرُ الله»[30] نقول: لا بأس أن تشكر الناس بلسانك لأنك أُمِرت بذلك، وهذا من عجيب أمر الله؛ حتى تبقى الأحوال بين الخلق أحسن ما تكون، لكن قلبك مستقر فيه أن النعمة لله -عزَّ وجلَّ-،وقوم سبأ فيما يقال عنهم: "إن المرأة كانت تخرج بمكتلها على رأسها، وتسير في الجنة -في حديقتهم- فالمكتل يهز الأغصان؛ فتسقط الثمار في داخل المكتل"

بمعنى أنها حتى جهد الحصاد ما تبذله! فهذا رزق محض، وأظن لو فكرنا كثيرًا سنجد أنفسنا في حال أعلى من هذه الحال، في كون أن الأرزاق تأتينا دارّة، من منّا إذا اشتهى لبنًا، يحلب؟! أنتِ لا تخرجين بمكتلك أصلًا، أنتِ يصلك إلى حدك مُبَسترًا، لا حلبتِ ولا نظفتِ، فكيف تأتيكم الأشياء لهذه الدرجة بعيدة تمامًا عن أي عمل! فهذا كله شيء من العجائب، لكن من كثرة اعتيادنا؛ صرنا نشعر أنه شيء طبيعي أن يأتينا اللبن والحليب بهذه الطريقة، والحقيقة أنه ليس شيئًا طبيعيًا أبدًا، إنما من زيادة نعمة الله علينا، وأنتم يا أهل الصحراء، من أين لكم لبن بهذه الكمية وحليب، إلا أن الله أنعم، وإلا فالصحراء ما يكون فيها لهذه الدرجة حليب؛ لأنه يحتاج إلى أماكن خصبة وغيره.

---

[30]() أخرجه أبو داود (4811).

شأننا الآن في النقاش: أنه ليس شأنهم فقط العجيب، بل نحن شأننا أعجب الشأن، نحن في حالة من الرفاهية التي لم يصلها أحد قبلنا، وكله من نعمة الله.

وهنا العجيب في الشأن: أن هؤلاء ما يعملون أعمالًا كثيرة، إنما رُزِقوا من غير عمل، ونحن نفكر نرى الشرق والغرب كيف يقتلون أنفسهم ليلًا ونهارًا، يعملون ليلًا ونهارًا، ونحن في بيوتنا آخر كل شيء يصلنا، آخر إنتاج السيارات، آخر إنتاج الجوالات، آخر إنتاج يصل إلى حدك وتستعمله، وأنت ما فعلت شيئًا، كم سُخِّر للخلق؟! وهذا معناه أنك أنت السيد وهم العبيد، لكنك لا تفهم بهذه الطريقة، الله جعلك السيد بحيث أن يأتيك كل شيء إلى حدّك، وها هم قوم سبأ، تخرج المرأة منهم حتى لا تحصد! تقع الثمار في مكتلها، وفي بعض ما يروى أنها كانت تمشي بمغزلها، تغزل ومكتلها يمتلئ! فلهذه الدرجة يكون النعيم للخلق، بحيث أنهم لا يتعبون، ونحن لا نستطيع أن نقول إننا متعبون في حياتنا، أبدًا كل شيء يأتينا على أحسن حال.

فالمقصد أن هذا الرزق الذي نعيشه من جهة مساكننا، أوطاننا، يحتاج إلى تفصيل مع أبنائنا.

وفي مقابل ذلك إنها (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ) بمعنى أن الله -عزَّ وجلَّ- طيّب أحوال التربة، طيّب أحوال الجو، طيّب أحوال الأشياء

التي تحيط بهم، حتى أنه يقال عن أرضهم: "بالرغم من أن فيها نبات، لكن لا توجد فيها حشرات، لا ساعية في الأرض ولا طائرة!" بل من طِيب هذه البلد، أنها لو أقبل أحدهم من الخارج، من سفر وأتى على الديار تموت هذه الأشياء، فيدخل الديار طاهرًا منها؛ لأن جوّها يمنع أن تدخل عليهم حشرات أو يدخل عليهم دواب! طيّب الله لهم أحوالهم!

فكل هذه نِعم، وأنت فكر في أحوالنا وسترى كل هذه العطايا التي أعطانا الله إياها، كيف أننا في بلدة طيبة، نحن الآن نجلس في التكييف، بعيدًا عن حر الشمس، وبعيدًا عن قرّ الشتاء، كل هذا أنت تعيشه، فهذه النعم التي نعيشها تشبه كثيرًا النعم التي عاشها قوم سبأ، عندما ندخل ديارنا لا تدخل علينا الحيوانات ولا نشعر بها، وأجواء بيوتنا في أحسن حال، فهذه كلها نِعم تُذكر بالتفصيل.

ما المطلوب منك في مقابل هذا؟ (وَرَبٌّ غَفُورٌ)

انظر إلى نعمة الوطن، وكيف أن الله -عزَّ وجلَّ- جعلك في أحسن حال، وانظر للنعمة الأعظم، وهي: أنه عرفك به.

لماذا هي النعمة الأعظم؟

- وقتما ينقص عليّ القليل أو الكثير، عندي الصمد؛ أصمد إليه.

- وقتما أحتاج، قلبي يفزع إليه وهو السيد الذي قد كَمُل في سؤدده، أبوابه مفتوحة للخلق.

- تعرفه والناس في العالم لا يعرفونه.

- تعرفه ونور معرفته قد وقع في قلبك؛ فأضاء لك الطريق.

- تعرف كيف تتقرب، كيف ترضيه، كيف تناجيه، كيف تسأله، تعرف لو خفت كيف تطلب منه الأمن، تعرف لو جُعت كيف تطلب منه الطعام.

وبذلك تكون أعظم نعمة منَّ بها الله على أهل ديار، أن تطيب ديارهم وتحسن معرفتهم بربهم، وحين نفكر في حالنا فنحن جمعنا من هذا، من أعظم ما جُمع للخلق، فالديار -بفضل الله، عطية من الله- كل خير فيها، وها نحن في مثل هذا المجلس نجتمع ونعرف من هو ربنا، وفي كل مكان تسمعون كيف يخطب الخطباء ويعلم المعلمون والمحاضرون يعرفون الناس برب العالمين، هذه النعمة نعمة عظيمة، كوننا في ديار آمنة، نتمتع بالأمن في أوطاننا، وفي نفس الوقت نتعرف على ربنا، يعني نحن لسنا في ديار تمتعت بالدنيا وتركت التفكير في الآخرة، بل جُمع لنا الأمران، نتمتع بالدنيا ونعرف رب العالمين فنلقاه ونحن سالمين اللهم آمين.

المقصد الآن: أن الآيات بيّنت أن هناك نعمتين:

- نعمة تلك البلدة الطيبة.
- ونعمة أن ربها غفورٌ.

ففهمنا أن معرفة الله نعمة عظيمة، أعظم من كل النعم، لكن لماذا (وَرَبٌّ غَفُورٌ) خصوصًا هنا في السياق؟

أما (رَبٌّ) فشأنها واضح، يعني ربّ يربي، ويعطي النعم، ويحوّل من حال النقص إلى حال التمام، وكلَّما نقص شيء في شأن دينك ودنياك أعطاك، ربك الذي يربّيك، ويعينك على الحق، ويبعدك عن الباطل، وإذا أخطأت دلّك الطريق.

أما (غَفُورٌ) فإن حال العبد حينما يُنعم عليه فإنه لابد أن شكره لا يكافئ النعمة، فـ (غَفُورٌ) هنا موطنها أنه يغفر التقصير في الشكر، لا يطالبكم ولا يأمركم بما لا تحتمله نفوسكم، ولا يمكنكم أن تكافئوا نعم الله. فيغفر لكم تقصيركم في الشكر إن أقبلتم شاكرين، يعني أقبلوا على الله شاكرين، وهو -سبحانه وتعالى- غفور شكور، يغفر التقصير في الشكر، ويشكر لكم شكركم؛ ولذلك الحديث الذي ناقشناه ورد فيه «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» يعني أنت كل الذي ستفعله أن تقول: "الحمد لله"، ومع ذلك جزاء "الحمد لله" أن يرضى

عنك! فكر الآن، حمدك واجب على النعمة، لكن مع ذلك جعل الحمد سببًا للرضا، وهو حقه -سبحانه وتعالى- أن يُحمد، ومع ذلك جعله سببًا للرضا.

فالمقصد: أن ربكم الذي يربيكم وينعم عليكم ويعطيكم، لا يعاملكم معاملة الخلق الذين يريدون منكم على قدر العطية شكرًا، وعلى قدر العطية مكافأة، أبدًا، إنما يقبل منكم القليل ويغفر لكم التقصير، فحين تعامله تعامل الكريم، والتجارة معه لا تبور؛ ولذا في سورة فاطر يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[31]

﴿يَتْلُونَ﴾ أي: يتابعون.

ماذا يريدون؟ ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

كيف سيعاملهم؟ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[32]

تجارة لن تبور! تعمل القليل، يغفر لك التقصير في القليل ويشكر لك هذا القليل، وها نحن نصوم مثلًا يوم عرفة، أو العاشر من محرم، نصوم نهارًا، نهار كم سيكون؟ عشر ساعات، خمسة عشر ساعة؛ فتُغفر ذنوب السنة والسنتين!

---

[31] () فاطر: 29.

[32] () فاطر: 30.

فهذا كله من شكر رب العالمين، وهو الذي يستحق الشكر، لكن من أسمائه (الغفور الشكور).

إذًا فهمنا سبب امتنانه عليهم بأنه (رَبٌّ غَفُورٌ)، يعني أنتم في أعظم نعمة،(بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ)، يأتي لها الخير من كل مكان، و (رَبٌّ غَفُورٌ) تعرفونه وتعاملونه، فإذا فعلتم القليل؛ شكر لكم القليل، وغفر لكم التقصير؛ فأعطاكم وزادكم وأنعم عليكم، وأكثر لكم. فهذا كله يستحق بنفسه التفكير، نفكر كثيرًا كم أُنعِم علينا، وأعظم النعم أن نعرف ربنا، ونُدَل عليه، ويرشدنا إلى نفسه، وتمر على خواطرنا الخواطر، فيعطينا حتى يعلمنا، نناجيه فيغنينا، نسجد وندعوه فيحمينا، كل هذا يعلمنا النفس، نعمة عظيمة، هذه نعمة النعم، أن تكون في ديار عرفت الله وتعرفك من هو الله، وتجد من يرشدك ويقول لك: "هذا وصف الكريم، هذا وصف العظيم، هذه أوصاف الله الذي ستلقاه" حقًا ستلقاه، يقينًا ستلقاه، وهو الكامل -سبحانه وتعالى- ويقول لك: "هذه سنة النبي الكريم، وغدًا سيكون حاملًا اللواء وأنت ستتبعه وتشرب من حوضه -صلَّى الله عليه وسلَّم-" وهكذا، فهذه نعمة عظيمة، لا بد أن تُنقل للصغار أنها نعمة، نعمة أنك هنا تعرف الله، فالمفترض أن تقدّر هذه النعمة بقدرها، ولا يبقوا أبناءنا يفكرون في النعم على أنها فقط المال والجاه، هذه يعطاها من يرضى الله عنه

ومن لا يرضى عنه، لكن النعمة التي لا تقارنها نعمة: أن تعرف الله، أن يكون ملجأك ومعاذك وملاذك، ولا تكن في حال تجهل من هو الله فتبقى في ظلمه، والخلق الذين لا يعرفون من هو الله، أنتم تعرفون أحوالهم، إن جاءت السعادة ساعة، جاءت الوحشة ساعات، والذي ينكر هذا عليه أن يجيب على سؤال: لماذا يسكرون، لماذا يغيبون عقولهم، لماذا تأتيهم أوقات كثيرة يستعملون فيها مخدرات؟ لا بد أن يجاب على هذا السؤال؛ لأن السعيد ليس بحاجة لأن يذهب عقله، ليس بحاجة إلى أن يستعمل مخدرات، ليس بحاجة لأن يغيب عن الواقع، لكن القوم يغيبون عن الواقع لأنهم يُعذّبون في الواقع، عندهم أسئلة في وجدانهم: لماذا أنا موجود؟ إلى أين سأذهب؟ هذه الأسئلة موجودة، ملحّة، رغمًا عنهم، تعذّبهم، فيُغيّبون عقولهم لحظات الإحساس بها، أما أهل السكينة الذين سكنوا ديار المسلمين وعرفوا من هو الله، ساكن في نفوسهم هذا الأمر؛ ولذا كثير ممن تعرض -أسأل الله أن يردهم جميعًا إلى طريقه- إلى الأفكار الإلحادية أو الشك، يميلون إلى الانتحار، حين تهجم عليهم الأفكار ولا يدفعون عنهم وسواس الشيطان، يتمنّون أن ينتحروا، لماذا؟ لأنهم داخل صراع لا يهدأ، فهم من أجل أن يسكّنوا الصراع، يسكرون، يدخلون في المخدرات، يدخلون في الآثام، يغرقون

في أوحال الجسد، وكل مرة يخرجون من مصيبة إلى مصيبة أعلى منها، وما تكفيهم الجرعة، فيزيدونها شيئًا فشيئًا، واقرأ إن شئت، كم من مشاهيرهم مات بجرعة زائدة من المخدرات، المشاهير! وأي سعادة أكثر من أنهم مشهورون! لا، ما زال هناك جوع في الداخل، يجيبه عندنا: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ) أنت تعرف لمن تصمد، أنت تعرف من الركن الشديد الذي لو ركنت إليه تكون في حالة من الأمن، لكنهم لا يعرفون، وإن عرفوا يتجاهلون، متخبطين! فهذا كله لا بد أن يُنقل لأبنائنا، أنه لن تكون سعيدًا عندما تصبح مثلهم، حين تحصّل الدنيا، هناك أولاد الشوارع يملؤون الشوارع، تظن الناس سعداء -كما يصفون لك في أفلامهم- ليس صحيحًا، السعادة هنا في صدرك، كونك في بلدة طيبة ورب غفور، لا بد أن يعرفوا أن هذه هي النعمة العظيمة، أسأل الله أن يعيننا على أنفسنا ويعيننا على تربيتهم على هذا الحق المبين.

ماذا فعل هؤلاء -وهذا الذي نخاف منه-؟ كلمة واحدة فقط قالها ربنا في حقهم: (فَأَعْرَضُوا).

وهذه الفاء تدل على سرعة الاقتران، وهي للتعقيب بمعنى: لما أنعم عليهم، كان عقب ذلك، بعد ذلك مباشرة، أنهم أعرضوا! و "بعد ذلك" لا يُقصد بها يوم ولا يومان ولا

سنة ولا سنتان، إنما يُقصد الزمن القصير، والزمن القصير قد يكون خمسين أو ستين سنة، وهذا معناه أن القوم تمتعوا ورأوا ثم أتت أجيال، ظنت أن كل شيء تحت يدها، أنت الآن حين تقارن بيننا -نحن الجيل الأوسط- وبين الجيل الذي قبلنا الذي شعر بالجوع، وتقارن بيننا وبين من بعدنا، تجد أنه كلّما زاد الجيل بُعدًا عن حقيقة ما كنا فيه، والتقلب في النعمة، كلَّما زاد إعراضًا! فهذه هي المشكلة، يعني هذه هي الطبيعة الإنسانية، ويدفعها الإيمان، من الطبيعة الإنسانية أن ننسى أصل الأمور، يعني تكون الأشياء لها طبيعة، لها صورة، ثم الإنسان مع العادة والكثرة ينسى أصل الأمر. سأضرب لكم مثالًا بعيدًا تمامًا عن هذه الحالة: تعرفون الطواف المعلق في الحرم، هو أصلًا للعربات، وضعوه للعربات ولكبار السن، ثم نسي الناس، فأكثروا الطواف وهم على أقدامهم، طافوا والمكان ضيق، لاحقًا حين يرون عربة، فوق في الطواف المعلق يقولون: "هؤلاء الناس سببوا لنا الزحام!"

فتُقلب الحقيقة! كذلك بالضبط الصورة، ماذا يصير لنا؟ ننسى أصل الموضوع، أبناؤنا الآن يحسبون أننا في الأصل مترفون، لا يدرون كيف كان حال أجدادهم! وأجدادهم ليسوا بالبعيدين، فإذًا كلَّما بعد الناس واعتادوا؛ يحصل نسيان

لأصل المسألة، ولا تحتاج لوقت طويل، لو في هذا النموذج، الآن الطواف المعلق منذ ثلاث سنوات، ونسي الناس هو لماذا أتى! فمع الاعتياد ومع تداخل الأمور ينسى الإنسان لدرجة أن تُقلب الحقائق، فهذا الذي يحصل مع الأجيال وليس شرطًا أن تكون الأجيال بعيدة، يعني خمسون وستون سنة، ليست أجيالًا بعيدة، لكن قلّة تنبيه الأبناء على الحقائق والأحوال هي التي أنستهم ما أصل حالتنا، كما نسي هؤلاء، فكانت النتيجة أنهم أعرضوا، و(أعرضوا) هذه الكلمة مليئة بالمعاني، **منها:** أنه كان المفترض أن يكون هناك إقبال على الله، كل شيء متوفر من أجل أن تطيع وتشكر، كل شيء متوفر لتسهل عليك الطاعة، كل شيء متوفر لتحافظ على وقتك وتتقرب من ربك، نحن نعيش في رفاهية، لا تغسلين بيدك ولا تكنسين بيدك، كل هذا ليس لتقضي بقية الوقت تقلبين جوالك، ولا تلفازك! إنما ليزيد الوقت الذي نهتم فيه بأبنائنا وندرس كتاب الله ونفهم ونتعلم، فتزداد الرفاهية وتزداد العطية لتقترب من الرب الغفور، ليس لتبتعد بالإلهاء، ليس لتبقى ضائعًا، تائهًا، فإذًا العطية شأنها الإقبال، كأنه يقال: "أنت ماذا يضيق عليك؟" أني أعمل نهارًا في البيت وأتعب، "إذًا خذ هذه العطية، خادمًا"، أنت ماذا تفعل؟ عليك أن تقبل على الله، لكن بدلًا من الإقبال على الله صار

الإعراض، يعني العطية من الله حقها على الخلق أن يتفرغوا مقبلين على الله، والإقبال لا يعني أن تؤدي الطاعات كما اتفق! لا، بل عبدٌ مشتاق إلى ربه، يرى كلّما حصل له فراغ على أنه وقت يقضيه مع الله، يحفظ، يفهم، يدرس، يربي، يعلم، ينشر الخير، يفعل ما يستطيع، ينفع المسلمين بأي نفع، فكان المتصور أن زيادة العطايا زيادة للإقبال، لكن ماذا حصل؟ بالعكس، أعطوا هذا الحق ظهرهم، أعرضوا عنه، معنى ذلك أنهم لما انتفعوا من هذا المُنعَم به عليهم، انتفعوا انتفاع من يشق طريق المعصية! يعني كل عطية أصبحت وسيلة لهم إلى معصية الله! أعرضوا عن شكر النعمة، فبدلًا من أن يكون أثرها عليهم الإقبال، كان أثرها عليهم الإعراض.

اتضح الآن ما معنى الإقبال والإعراض، وهذه الكلمة في الحقيقة تحتاج إلى مزيد من النقاش لو كنا نفسر الآيات، لكن يكفينا أن نفهم أن هذا الذي حصل منهم.

نخرج الآن بمفهوم مهم وهو:

أن العبد حين يعطيه الله العطايا، لا بد أن يفكر:

كم أقبلت على الله بهذه العطية؟

كم زادتني قربًا إلى الله؟

يعني أنت الآن مجاور للمسجد، تسمع -الحمد لله- الأذان من الفجر إلى العشاء -ما أعظمها من نعمة!- كم أقبلت على الله بسببها؟ المنتظر منك أنه وقتما يؤذن الأذان أن تكون ممن يسمعه ويردد معه، يعني وقتما يؤذن الأذان لا بد أن تكون ساكتًا، لكننا عادة حين نكون في بيوتنا إذا كنت أهاتف أحدًا بالهاتف، أكمل، وإذا كنت أكلم أبنائي، أكمل! في كل الأحوال نكمل كما نحن! مع أن هذه عطية! قربك من المسجد عطية، تحتاج أن تردد مع الأذان، ثم وقت الصلاة دخل، هل شعرت أن بين الأذان والإقامة فرصة للدعاء؟! هل انتفعت؟

ثم بعد ذلك أقيمت الصلاة، وأتمّ الناس الصلاة، ورجع الناس بيوتهم من الصلاة، وأنت جالس في مكانك، كل هذا إعراض! جاورت المسجد هذه عطية؛ كم ارتفعت بالقربى؟ هذا هو **الإقبال**.

والإعراض أن تكون كل هذه النعم أمامك، وأنت لا تردد مع الأذان، ولا تهتم بالدعاء بين الأذان والإقامة، ولا تسارع إلى الصلاة في وقتها؛ لأنها أحب الأعمال إلى الله، وقد يكون عندك أولاد صغار ولا ترسلينهم للمسجد، لا تحبين أن تبذلي جهدًا معهم.

وقِس على ذلك كل شيء عندنا، هل كان سببًا للإقبال، أم سببًا للإعراض؟

يجب أن نعلم أن مفهوم الإقبال والإعراض، هذان مفهومان مهمان، فسنظل نقول له: "الله أنعم عليك بنعمة؛ فأقبل على الله" وأنت يعذبك أن تجدهم أصحاء يلعبون، ثم يؤذن الأذان وتضيع الركعة الأولى والركعة الثانية، ثم تجد الكسل بعد النشاط الذي كانوا فيه! لا تدري ماذا صار لهم! شيء عجيب، لكن هذا كله من فعل الشيطان، وهم يستسلمون له، وسنجد في خاتمة الآيات قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ)[33] هذا الشيء مهم، أن نفهم أن ابليس له دوره معهم؛ ومن أجل ذلك يريدون أن يقبلوا فيجعلهم يعرضون، فهم يستسهلون الإعراض؛ لأن الإعراض فيه كسل، والإقبال فيه جهد.

فسنظل نكرر عليهم هذا المفهوم وضده، "انتبه لكيلا تعرض عن الله، انتبه أن تكون لا تنتفع بعطية الله بتفاصيلها" ونضرب له أمثلة إلى أن يصل، وبالنسبة لنا كلنا سنشترك في هذه العطية العظيمة، وهي عطية تدريس التوحيد، نحن في ديار تدرّس التوحيد، كل الخير الذي نحن فيه بسبب هذا التوحيد، بسبب أن القوم بعيدون، أبعد ما يكونون عن الشرك، والمفترض ونحن أمهات والاختبارات مقبلة، أن يكون درس التوحيد هو الدرس الرئيس، هو الذي نهتم به

[33]() سبأ: 20.

ونراجعه، هو الذي نبحث فيه، هو الذي نزيد بيانه؛ لأن هذا هو الذي سيُسأل عنه في قبره، أنت ستكونين معه أثناء اختباراته، لكن عندما يدخل قبره ويُسأل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ لن يكون معه أحد، أنت تُعدّينه للاختبار، لكن الاختبار الأهم.

فهذه النعمة يجب أن نحافظ عليها ونقول لربنا: "نحن نشهد أنها النعمة العظيمة المطلقة" وهي أننا في ديار تحمي التوحيد وتنشر التوحيد وتبين التوحيد وتحفظ التوحيد وتحمي حماه.

وإذا شكرنا في داخلنا؛ دفع الله -عزَّ وجلَّ- البلاء عن البلاد والعباد، فلا بد أن نستيقظ لسر ما نحن فيه، سر ما نحن فيه: إن هذه الديار تحمي التوحيد، وهذا التوحيد لا تتخيلوه مجرد كلمات، هذا التوحيد معانٍ، لو قرأت مناهجهم بنفسك، ستعرف كيف أنك تعيش هذه المعاني بنفسك، أنت أول منتفع من تدريس التوحيد لأبنائك.

ننتقل للمفهوم التالي:

كيف كان الجزاء؟ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ).

واضح جدًا أن الجزاء والعقوبة من جنس مادة العطية؛ لأن السيل يعني: الماء الكثير. وهم معروفون بسد مأرب الذي

كان سببًا لوجود هاتين الجنتين، فهم وصلوا لما وصوا إليه في هندسة بناء السدود، انتفعوا من الطبيعة -كما يعبرون- الجغرافية للبلاد، وبنوا شيئًا بسيطًا وفي مكان صحيح، وجعلوا له أبوابًا متعددة، فصار هذا الباب حين يفتحونه يسقي هذه الأرض وهذا الباب حين يفتحونه يسقي الأرض الثانية فلا تغرق، وهذا الباب الثالث يُفتح في توقيت معين بحيث أن ترتوي الأرض ولا يحصل غرق، ثم يسلط عليهم -كما في بعض الروايات لشرح هذه الآية- فأرة، فتأكل هذا البناء الذي بنوه، فأرة! فتكون النتيجة أن يأتي السيل فيغرقهم، هم مادة حياتهم كانت الماء والسد، وهو نفسه الذي كان مادة عقوبتهم! وهذا من أعجب الأشياء، أن الشيء الذي كنت تنتفع به، يكون هو الشيء الذي تعاقب به!

فالشاهد: أننا يجب أن نلاحظ هذا الأمر، يعني الغنى، المال، هذه عطية الله، انتبه أن تأتي هذه فتُحوّل عليك، وتكون بلاء عليك وعلى ذراريك، نحن ما ننتظر من رب الخير إلا الخير، لكن نفهم سنة الله: أن العقوبات تكون من مادة العطايا، ولتتصور المسألة: لو أتينا إلى عطية الله وهي بالنسبة لهذه الديار البترول، هذه عطية محضة، ليس لنا فيها يد، لكنكم ترون الأعداء وترون تكابلهم علينا، من أجل ما نحمله من عقيدة، وطبعًا كلّ واحد من الأعداء يريد أن يقطع

الكعكة ويأخذ منها جزءًا! فالجماعة الذين يحاربوننا في عقيدتنا يبغون هدم هذه العقيدة، والذين يبغون الأموال ووضع أيديهم على المصادر التي تعرفونها، سيتعاونون سويًا إذا ما بقينا ندافع عن التوحيد، يعني هذه العطية التي أعطانا الله إياها قد تكون سبب بلوى علينا، إذا ما دافعنا عن التوحيد، نحن أعطيناها لرفع راية التوحيد وتبقى -بأمر الله- عطية لرفع راية التوحيد، ونحافظ على التوحيد من أجل التوحيد؛ لأنه بنفسه نعمة، والله -عزَّ وجلَّ- يرد عن البلاد والعباد شر كل ذي شر، لكن لا بد أن نفهم أن سنة الله أن العباد عندما يعرضون يجعل الله عقوبتهم من نفس جنس عطيتهم، فهم غرقوا بالماء الذي كان عطيتهم في الإنبات.

(وَبَدَّلْنَاهُم) نأتي الآن إلى نوع آخر من العقوبة، يعني (سَيْلَ الْعَرِمِ) ماذا فعل بهم؟ أذهب بنعمتهم، ثم حصل التبديل، بمعنى: ربما لو سال السيل وذهب بالخيرات، صلحت الأرض لإنبات زرع آخر، ثم ينتظرون قليلًا ويستصلحون أراضيهم وتنبت، لكن ما حصل ذلك، بل الأرض أصبحت ما تنبت الخيرات! يعني بعدما كانت بلدة طيبة، ذات تربة طيبة، وجوّ طيب، بُدلوا، انظر كيف أتت هنا العقوبة، حتى النفسية، (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) يعني هل الثانية التي بُدلّت ستكون جنة؟ لا، لكن كأنه يقال: "تستحقون أن تُبدل جنانكم بهذا الذي

هو مرّ" ماذا كان وصف الجنتين؟ (ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ) الخمط: كل شجر مرّ. والأثل: كل شجر فيه شوك.

(وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ) يعني هذا أنفع شيء موجود! والسدر فيه شوك، لكن فيه النبق الذي هو صغير جدًا، وإن كان فيه شيء من الحلاوة، لكنه صغير جدًا، مقابل الجنتين، ومع ذلك السدر كان قليلًا! فكأنه يقال: "أنتم لا تستحقون إلا مثل هذه، وانظروا لها كأنها جنة لكم"، يعني استهزاء بهم، كما كان موقفهم الإعراض عن ربهم.

المقصد: أن العقوبة تأتي بالتبديل، مثلًا أنت عندك جارة تقية، وتقواها سببت لك الإزعاج؛ لأنها تقول لك: "حينما يأتي ضيوفك ابحثوا عن موضوع جيد تتكلمون فيه، وانتبهوا أن تغتابوا" وأنت لا تريدين أن تشددي على نفسك، وكل مرة تقول كلامًا من هذا النوع وما يناسبك، ثم تبدّلين بجارة لا تسمعين منها إلا الفسق! فتزعجك في دينك، تزعجك بصوت الموسيقى. فهذا نوع عقوبة، شخص لا يشعر بنعمة الله، ويشعر بغصّة تجاهها، فماذا يحصل؟ التبديل، وهذا شيء مهم جدًا أن نفهمه ويفهمه أبناؤنا، يعني هذا الابن عنده معلم للدين، مهتم ويتابعه ويساعده، والابن غير راضٍ عنه! فيأتيه معلم آخر لا يشرح له ولا يبين له! تبديل، وكثير ما يحصل

التبديل ولا نشعر أنه عقوبة؛ لأن الإنسان يكون مهتمًا بالدنيا فلا يشعر بالعقوبات.

فهذه من المفاهيم التي يجب أن يتعلمها الصغير، أنه حين تكون عندك نعمة، وتبطر عليها؛ إلا ويحصل التبديل، والتبديل لن يكون للأحسن، أكيد جزاءً لك. فلا بد أن نفهمه أنك لا توقع نفسك في ذلك، لا تنتظر أن تُبدَّل لتشعر أنها نعمة، وهذا كثير ما يحصل معنا مع أبنائنا، مع أزواجنا، يعني زوجها -مثلًا- مشغول بعمله أو غيره، فتجدها دائمًا تشتكي من أنه مشغول، ثم يتقاعد! فتندم.

ثم تأتي القاعدة التي هي:

(ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)

المقصد: أن سنة الله في إنزال العقوبات لا تكون إلا لمن كفر النعم، وهذا إما

- كُفر النعمة، وكُفر نسبتها إلى الله، وكُفر استحقاقه للعبودية، فهذا هو الكفر الأعظم.
- أو الأقل وهو كُفر النعمة، بدون كُفر استحقاق الله للعبودية.

المقصد: لابد أن يعرف ولدي أن كفر النعمة وراؤه جزاء هنا في الدنيا، وهذا معناه أننا سنقسم الكفر إلى قسمين: كفر أصغر وكفر أكبر.

الكفر الأكبر: هو الكفر المعروف الذي يخلّد صاحبه في النار، الذي يكفر صاحبه بنعمة الله، ويكفر باستحقاق الله للعبادة.

الكفر الأصغر: فهو ذنب من الذنوب الكبار، ولا يخلّد صاحبه في النار، لكن ما صفة صاحبه؟ يكفر بنعمة الله، يجحدها، يبطر عليها، لا يشعر بها، يملّ منها. كما سيتبين سريعًا في حالهم مع سفرهم.

إذًا ما القاعدة؟ أن الكفور يجازى في الدنيا. **(وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)**.

يعني حين تُسلب نعمة لابد أن تفكر كثيرًا، أين المشكلة؟ ما شكرنا النعمة.

نأتي الآن لحالهم في السفر، كل الآيات السابقة كانت لحالتهم في السكن في أوطانهم، سيُمتن عليهم الآن بمنّة أخرى، وهي: منّة الأمن في سفرهم.

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ)

معناها كما ذكر المفسرون: أن القرى التي باركنا فيها المقصود بها بلاد الشام، وهم لهم تجارة في الشام، يعني يخرجون يأخذون ما معهم ويتاجرون ويتبادلون ويُنعم عليهم بالخيرات، بمعنى أن هذا المورد الاقتصادي الثاني، وكان المورد الاقتصادي الأول بالنسبة لهم: ديارهم والخير الذي فيها، المورد الاقتصادي الثاني: التجارة السهلة التي بينهم وبين أهل الشام. وأنت الآن تتصور الفرق بين اليمن والشام من الخريطة، هذا الفرق كله في زمنهم كان عبارة عن قرى، يصبح الرجل منهم في قرية، وتأتي عليه الظهيرة في قرية أخرى، وكانت هذه القرى ظاهرة، يعني أهل هذه القرية يرون طرف القرية القادمة، ما الفائدة من مثل هذا؟ أنهم لا يحتاجون لحمل الطعام ولا يحملون معهم المبيت، ولا يوجد خوف؛ لأن الأرض ليست خلاء، الخلق موجودون، يأكل هنا، ويشرب هنا، ويبات هنا، لا يوجد خلاء ولا خوف ولا وحوش؛ لأنه يوجد أنس، يوجد ناس، فهذا معناه: أنهم في أمن من جهة التجارة، الأمن التجاري موجود، الأمن الاقتصادي في التجارة.

إذًا جُمع لهم أمران:

- مصدر غذائهم ومالهم موجود في أرضهم، بلدة طيبة تربتها طيبة، جوّها طيب، ماؤها كثير، علّمهم ربنا

كيف يجمعونه، علّمهم هندسة هذه الأمور، واستفادوا منها وانتفعوا وبنوا هذا السد، إذًا الخيرات في أرضهم. وليس هذا فقط بل

- وتجارتهم ليست كاسدة، إنما جارية وآمنة، وسفرهم سهل ولا يخافون.

قوم مثل هؤلاء ماذا ينقصهم؟ لا شيء إلا أن يشكروا ربهم! وانظروا هنا للمفهوم المهم الذي لا بد من فهمه وبيانه: أنك حتى لو ما كنت تتاجر، ولا لك علاقة بالتجارة، لكن فكر كيف تصل لك الأشياء، أنت تأكل الوجبة الواحدة فتجد هذا أتاك من الشرق وهذا أتاك من الغرب! يعني تأكل أكلة واحدة تفاصيلها أتتك من العالم! الحمد لله.

فأنت الآن لست تاجرًا، لكنك ترى آثار التجارة، وانظروا حين تسيرون في الطرق السريعة، ماذا ترون؟ شاحنات كبيرة، وكل الذي عندنا من المشاعر الخوف منها فقط! لا يوجد أحد ينظر لها على أنها تعني الأمن والأمان والانتقال بكل يسر وسهولة، فهذه الشاحنات تحمل البضائع التي تأكلها، وتأتي من الشرق للغرب ومن الشمال إلى الجنوب ومن الميناء البحرية والميناء الجوية وهنا وهناك، وتجدين ولدك حين يسير في الطريق غاضبًا من هذه الشاحنات،

وهذه الأشياء التي تزعجه! لا يفهم أن هذه كلها من النعم، ولو هذه جفّت ما أكلت!

فانظر كيف أننا نبطر على النعمة بنفسها ونكرهها! أنت حين تسمع أن ديارك ديار زحام والناس يأتونها من كل مكان، يكون هذا دليلًا على أن فيها حياة وفيها تجارة، وأنت المستفيد، انظر كيف يكون ردّنا على مثل هذه الأشياء!

الشاهد: أن القوم ليس شرطًا أنهم بأنفسهم يمارسون التجارة، هم يرون آثارها في بيوتهم، أنت تشتري المأكول والمشروب والآلات والصناعات، فهي تأتيك عن طريق التجارة، ولو ما أمّن الله هذا كله لهذه الديار المباركة، ماذا ستكون النتيجة؟ لن يوجد شيء من هذا كله، فيقول الله -عزَّ وجلَّ- في حقهم: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) بمعنى أنها مسافات محددة، معلومة، سهل فيها الانتقال (سِيرُوا فِيهَا) تاجروا، اخرجوا للتجارة، (لَيَالِيَ وَأَيَّامًا) يعني المدد الطويلة، وما صفتكم؟ (آمِنِينَ) وهذا الذي نجده، نسأل الله أن يحفظ بلادنا ويعيد الأمن والأمان على ديار المسلمين في كل مكان، لكن لو كان الناس يخافون من الحرب؛ فلن تمر هذه السفن ولن تمر هذه الشاحنات ولن تأتيك، ويستصعبون الوصول، فدارك آمنة والطرق التي توصل إلى دارك آمنة، وهذه الطرق التي توصل إلى دارك، مسافاتها مقدرة عندهم،

والذي يعرف في النقل البحري، يعرف أنك لو كنت بعيدًا عن الناس، وما تأتيك السفن، لكنك في مسافات مقدرة، بمعنى أنك سوق، مثلًا لو أتينا من الشرق، الناس رحلتهم الأولى مثلًا في الهند ثم يضعون رحلتهم الثانية في كذا إلى أن يصلوا لنا، فهذه مسافات مقدرة عندهم، أنت أحد الوجهات لهم، من جعلك وجهة وسهّل الوصول إليك؟! الله، الله جعلك وجهة وأصبح الوصول إليك سهلًا.

فهذا الذي تتمتع به فكر فيه، لا بد أن يفكر أبناؤنا، أن الله جعل السير فيها والأمن أمر واضح، حتى لو ما تاجرت، انظر إلى ما يأتيك من وراء هذه التجارة.

انظر لردّهم ماذا قالوا؟ تخيل يدعون ربنا: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) وفي بعض القراءات: "بعِّد بين أسفارنا"، يعني بالتشديد، يعني هم من طلبوا من ربنا أن يباعد بين أسفارهم، أي عقل هذا الذي يقول: (بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)؟! انزعجوا من تكرار النعمة، انزعجوا من توفرها، يريدون أن يمروا في صحراء وخلاء! الناس من كثرة اعتياد النعم يتمنون أن تتغير! ولذا تسمع الاستهتار الذي يقوله اليوم الأبناء: "كلّما كلّمناكم قلتم أمن وأمان!" والأمن والأمان هما أهم شيء موجود (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) ماذا تريد؟! لكن من كثرة النعم يموت الإحساس بها، ويشعر الإنسان أنها لو

زالت ما نقص شيء، هذا هو الإشكال، أنه يعتقد أن النعمة لو زالت ما نقص عليه شيء! هذا معنى في قراءة، وفي قراءة أخرى وإن كانت ليست مشهورة، فيها يشتكون ربنا، يعني لا يدعون "ربنا باعِد" إنما يقولون: "ربنا باعَد بين أسفارنا" بفتح العين، يعني الله قرب لهم وجعلها يسيرة وسهلة، وهم يرونها بعيدة! هذه القراءة وإن كانت لا يُقرأ بها، لكن للاستئناس فقط أشرنا إليها، القراءة المشهورة هي التي فيها دعاء، أنهم يقولون: (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) وإن كان المعنى الثاني قد يكون، أنهم مع وجود النعمة لكنهم ما يشعرون بها!

المفهوم الآن الذي نريد أن نصل إليه:

هل يمكن لإنسان عاقل أن يملّ النعمة؟

الجواب: نعم، يمكن لعاقل أن يملّ النعمة، هل هذا عاقل عقله كامل؟ لا، هذا عقله عقل إدراك، فقط يدرك لكن ليس عقله عقل رشد، أنت ماذا تفعل للصغير؟ تنقل عقله من عقل الإدراك إلى عقل الرشد. ماذا أقصد؟ لو بقي كل يوم يأكل نفس الأكل ويتمتع بنفس النعيم، ماذا يشعر؟ إذا كان عقله عقل إدراك فقط مثل عقل البهائم، سيملّ! لكن حينما تنقله من عقل الإدراك إلى عقل الرشد وتقول له: "انظر للنعمة التي أنعم الله بها عليك، الناس يتمنون حتى ثلثها، ربعها، عشرها،

يتمنون أن يباتوا ليلة" فأنت ماذا تفعل؟ تنقله من عقل الإدراك إلى عقل الرشد، وتخيل هذا الموقف الحقيقي: أناس من أهل النعيم ومعهم أناس قد ضيق الله عليهم، والله -عزَّ وجلَّ- حكيمٌ، فدخلوا في مسابقة وكلهم صغار، دخلوا ثم كانت الجائزة فواكه، فأهل النعيم استهتروا بالجائزة! ثم فازت الجماعة الثانية، أهل الضيق، فكانت الجائزة الآن تفاحة وموزة، فقالوا للفائز: "اختر، ماذا تريد؟" فقال: "أريد تفاحة"، قالوا له: "لماذا تفاحة؟" لأن الموز ألذ، قال: "لكن التفاحة تبقى وقت أطول!" لهذه الدرجة وصلت الحاجة! الموزة تنتهي سريعًا، فهذه مفاجأة! لأن الطرف الثاني أصلًا ما اهتم بالمسابقة؛ لأن الجائزة مجرد فاكهة! انظر لهذه المشاعر!

فعقول الإدراك الواقفة عند إدراك الأشياء ما تنضج، لكن عقل الرشد يقول: "لا، انتبه، تكرار النعمة اختبار لك" فإذا شكرت الله وقبِلت؛ أعطاك الله وأنعم عليك وجعل لسانك يستلذ بما أعطاك، وإذا بطرت وجعلت عقلك مثل عقل البهائم، ستكون مثل بني إسرائيل، ملّوا من المنّ والسلوى! ماذا يريدون بدلًا من المنّ والسلوى؟ الثوم والبصل! هذه عقول الإدراك التي ما وصلت إلى الرشد.

فلا بد أن نفهم أن هذه المشاعر تأتيهم، فنحن ماذا نفعل بها؟ ندافعها، لا تتركها تكبر، أنت ستقول: "من الطبيعي أن يملوا من أكل نفس الأكل" نقول: انتبه، لا تتركهم على الطبيعة الإنسانية التي هي اختبار، انقل عقلهم من عقل الإدراك إلى عقل الرشد، وأخبرهم أن الله يختبرهم بتتابع النعم عليهم، فإذا طابت نفسك من الطعام ومللت، فلا تخرج من لسانك كلمة يسخط الله بها عليك وعلينا، لكن إذا طاب قلبك من الطعام اشكر الله -عزَّ وجلَّ- على النعماء واقبل بما قسم لك، واعتقد أنك في نعيم عظيم، والله يغيّر هذه النفس بعد الطيش إلى الرشد، لكن لا بد أن نفهم أنه قد يحصل منهم هذا، فننتقل بهم إلى عقل الرشد.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله